حكايات بابا سنجوب

«لنتعمق أكثر فى ذيلٍ منفوش»

زينب أحمد

"حكايات بابا سنجوب"

عائلي – دراما نفسية – فانتازيا رمزية – أطفال ويافعين

كتابة_زينب أحمد

مراجعة_تقى لبيب

الفهرس

- الإهداء 4
- المقدمة 5
- الحكاية الأولى (كيف قابلتها) 6
- الحكاية الثانية (مشكلة كبيرة أم صغيرة) 10
- الحكاية الثالثة (لماذا هو مميز؟) 16
- الحكاية الرابعة (تائه في غابة كبيرة) 23
- الحكاية الخامسة (كسل أم إنعدام شغف؟) 31
- الحكاية السادسة (انهيار) 37
- الحكاية السابعة (حبوهم) 45
- الحكاية الثامنة (مواجهة خواطر دومي) 53
- الحكاية التاسعة (على ضفة النهر) 60
- الحكاية العاشرة (متجر الحلوى) 67
- الحكاية الحادية عشر (حكاية لا أحد يراها) 74
- الحكاية الثانية عشر (خِتامٌ بطعم البسكويت) 81
- بطاقات تعريفية 89
- بعض الصور 94
- خريطة الحكايات 103

لو تركوني أتحدث عمّا في قلبي وخاطري وأريدكم أن تعرفوه، فلن تكفيني رواية أوراقها أكثر من ألف صفحة، فاختصارًا لما أريد قوله وسيظل في قلبي، حتى ألقاكم:

إهداءً:

إلى أطفالي، ولو تعلمون فقط كم أشتاق إليكم وأعيش معكم في عقلي، طوال الوقت.

إلى زوجي المجهول، أتمنى أن تكون مثل بابا سنجوب، وأن يكتب الله لنا لقاءً في أقرب وقت.

إلى الغائبين الحاضرين في قلبي، وحكاياتٍ لم تحدث بعد.

المقدمة

قبل أن أحكي لكُم هذهِ الحكاية، يجب عليّ اخباركم كيف بدأت الحكاية!

في الغابة الكبيرة، تحديدًا بين أشجار البلوط العملاقة، وَحين نقترب.. نكتشف مدينة صغيرة مليئة بالسناجب الظريفة، يقفز بعضها ذاهبين إلىٰ أعمالِهم، وَتلهو السناجب الصغيرة في الأرجاء،

نخطو مُقتربين مِن السوق، وَالكثير من الذيول تتراقص هُنا وَهُناك، وَأصوات السناجب تعلو بِأحاديثٍ مُتقطعة كثيرة، بين ضجيج المارة وَصخب الأطفال؛ نجد نفسنا نقترب مِن وجهتِنا الأساسية...

شجرةُ البلوط العملاقة، بعيدةً بعض الشيء عن المدينة، حيث يسكن بها سنجابٌ مرَّ بِتجارب كثيرة جعلته ناضجًا؛ لِيقصُّ علينا رفقة صغاره حكاياته،

فَهل ستستطيع كاتبتنا جعلكم تعيشوا مع عائلة بابا سنجوب وَتتحمسون لها؟

هذا ما سنعرفه حينَ نتوغل بين أحرفٍ علىٰ لسانٍ حيوان لكنها أقرب ما يكون لِحياتك أنت! -عزيزي القارئ-.

{الحِكاية الأُولىٰ}
كيف قابلتها؟

ها نحنُ ذا عند شجرة البلوط مُجددًا، كان الهواء مُنعشًا يسحب أوراق الشجر لِيُبعثرها وَتتساقط حول حديقة مليئة بالأزهار، والألعاب مُبعثرة في كُل مكان.

انفتح باب الشجرة، لِنتعمق أكثر في الداخل، كان المنزل يجعل مَن يخطو بعده خطوةً واحدة يشعر بِالدفءِ وَالراحة، في مُنتصف الغرفة، زُينت طاولة طعام تم تجهيزها جيدًا مِن كُلِ أصناف المُكسرات اللذيذة، رفقة عصائر الفواكه،

جلس "بابا سنجوب" في مُقدمة الطاولة، وَعلىٰ يمينه جلست "ماما سنجوبة"، بِجانبها ابنتها السنجابة الصغيرة "حوري"، وَعلىٰ جانب بابا سنجوب الأيسر جلس ابنه البكر "دومي"، وَأخيرًا الصغير "آسري" اتخذ مكانه جانب أخيه.
ساد الصمت علىٰ الطاولة، بِاستثناء صوت التوأمين (آسري وَحوري) وَهما يتناقشان بِكُلِ حماس علىٰ أحداث حلقة الرسوم المتحركة المُفضلة لهما.

انتهىٰ الجميع مِن تناول الطعام، ذهب بابا سنجوب يجلس علىٰ كُرسيه المفضل أمام التلفاز -الذي يتابعه أسري وحوري- وَذهبت ماما سنجوبة لِلمطبخ تصُّب الشاي لِلجميع في أثناء خروج دومي مِن المرحاض، مُتجهًا فورًا إلىٰ غُرفتِه، كاد يدخلها حتىٰ أوقفه صوت اخوته يتهامسون،

نظر إليهم، لِيرىٰ ذيولهم تتحرك بِحماس،
رفقة لمعة أعينهم، بِمعنىٰ آخر يخططون لِشيءٍ ما، رُسِمَت علامات الاستغراب علىٰ وجهه مُنتظرًا لِيشاهد ماذا يخططون هؤلاء الصغار المشاغبون، وجدهم يلتفتون لِيقفوا أمام بابا سنجوب، تحدث آسري بِصوت يمتلأ بِالفضول:
_أبي، نريد أن نعرف كيف قابلت ماما سنجوبة.
انتبه بابا سنجوب فنظر لهم قائلًا:
_ماذا؟

أعاد آسري ما قاله؛ فَسمعتهم ماما سنجوبة مِن المطبخ -إذ أن غرفة المعيشة تتواجد بِجانب المطبخ- ابتسمت بِحنين وَهِيَ تتذكر تلك الليلة، بينما في الخارج قالت حوري بِاستعطاف:
_أرجوك يا أبي، نُريد أن نعرف!

اعتدل بابا سنجوب، مُفكرًا من أين يبدأ، ثم قال بعد لحظات مِن التفكير:
_حسنًا حسنًا، من أين أبدأ! إنها قصة طويلة، كان يومًا ممطرًا، حينَ قررتُ الخروج مِن شجرتي أخيرًا بعد عزلةٍ تجاوزت عشرين يومًا، ذهبت ابحث عن بندق يضع حدًا لِجوعي بعد انتهاء الطعام لديّ.....

كانت ماما سنجوبة انتهت مِن اعداد الشاي، وَحينَ دخولها نظر بابا سنجوب لها مُبتسمًا ثم أكمل وَهُوَ مازال ينظر لها:
_لكنني وجدت شيئًا أجمل من البندق!
وجدتها هي، رأيت سنجابة تائهة، وَالحزن يسيطر عليها،

اقتربت ببطء لِيخترق صوت بكائها صوت الأمطار، شعرت بِأنها مثلي، وَأردتُ مُساعدتها لكن لم أعلم كيف! رفعت هِيَ رأسها؛ فَكان وجهها يملأه مزيجًا مِن قطرات المطر وَدموعٍ حارّة.

تنهد بابا سنجوب، وَارتشف رشفة مِن كوب الشاى الذى أمامه، ثم قال:
_كانت عيناها تصرخ بِنفس الضياع الذي أشعر به، لم تكُن تائهةً عن موقع شجرتها فقط...
بل ضائعة عن مكانها في هذه الغابة الكبيرة، فقدت قدرتها للبحث عن المكان التي تنتمي له، وأنظروا مَن وقع أمامها في هذا اليوم! سنجاب يكره الجميع، ينعزل دائمًا بِشجرته، يقوم بالبيات الشتوي حتى في الصيف!

انهىٰ بابا سنجوب جملته، وَهُوَ يشير علىٰ نفسه ضاحكًا، شاركه الجميع الضحك، حتى دومي قد ابتسم، وَالذي كان يقف عند مدخل الغرفة يستمع بِتشوقٍ خفيّ.

هل تعلم يا صديقي
أن السناجب تنقسم إلى ثلاث أنواع أساسية؟

1. سناجب شجرية، وهي الأكثر تواجدًا.
2. سناجب أرضية، أقل تواجدًا.
3. سناجب طائرة، والتي....لا تطير!

هذا ما سنعرفه في الفقرات القادمة، انتظروني.....

تحياتي بابا سنجوب.



{الحكاية الثانية}
مُشكلةٌ صغيرة أم كبيرة؟

في اليوم التالي، ذهب الجميع إلىٰ مشاغلهم، مِن مدرسةٍ أو عمل كَالمُعتاد، لِنتوجه لِلساعة -التي تُزين حائط غُرفة المعيشة في منزل الشجرة- تحركت عقاربها سريعًا، حتىٰ وصلت لِلرابعة مساءً موعد عودة الجميع مِن الخارج، وَحينها دخل بابا سنجوب لِلمنزل.

التفت بعدما أغلق الباب خلفه، مُستمتعًا بِأصوات تحضير الطعام، حتىٰ انتبه لِجلوس دومي شاردًا في الفراغ أمامه، لا يحمل وجهه أي تعبير، شعر بِقلقٍ كبير علىٰ ولده،

كاد أن ينطق وَلكن قاطعه افاقة دومي مِن عالمه الخاص، مُلاحظًا وقوف والده قريبًا منه، ينظر إليه بِعيونٍ مُتوترة؛ فَأسرع في الوقوف يُلقي عليه التحية وَسُرعان ما هرب مِن أنظاره يدخل غرفته كأنها جُحره الحامي،
تنهد بابا سنجوب بِحُزنٍ مكتوم، أفكاره مُشتتة وَلكنها كُلها استقرت في نقطةٍ واحدة "الرغبة في رؤية بسمة صادقة علىٰ مبسم ولده".

قطع أفكاره صوت ارتطام باب المنزل بقوة، يتبعه دخول حُوري وَآسري كَعاصفة هائجة، كُل واحدٍ منهما ينظر لِلاتجاه المُعاكس لِلآخر بِوجوهٍ مُحتدة غاضبة، عقد حاجبيه بِاستغراب، هل هذا يوم الشجار العالميّ أم ماذا!

صدر صوت نداء ماما سنجوبة مِن بعيد،
تُعلن أن الغداء جاهز، وَسُرعان ما تجمع الجميع صامتين علىٰ الطاولة، تبادلت ماما سنجوبة نظرات قلقة مع بابا سنجوب، فَرفع كتفيه بِحيرة لا يعلم ماذا حدث للجميع، نبدأ بِدومي الذي انقلب حاله مُنذ أيام وَتلاه آسري وَحُوري اللذان أعلنا حربًا صامتة بينهما!

انتهىٰ الطعام دون كلمة واحدة فقط نظرات ماما سنجوبة وَبابا سنجوب التي تعكس قلقهم.
جلس بابا سنجوب علىٰ كرسيه مُنتظرًا عبور حوري وَآسري أمامه بِهدوء، حتىٰ ظهرا أمامه بعد دقائق فَأشار لهما مُناديًا:
_أسري، حوري، تقدما لي هُنا.

ذهب الاثنين بِصمت يجلسان بِهدوءٍ قاتل أمامه، حتىٰ قطعت هذا الهدوء حُوري بِتساؤل لكنه يفتقر لِحماسِها المُعتاد وَهذا ما لاحظه بابا سنجوب:
_ماذا هناك يا أبي؟

تنهد بابا سنجوب وَهُوَ ينظر لِكليهما، ثُمَ نطق بِحزمٍ:
_ماذا هناك أنتما! مِن الأفضل أن تُخبراني ما الذي يدور حولكما!

تبادل آسري وَحوري النظرات المُستاءة، حتىٰ عادت أعيُن حُوري تتوجه لِوالدها، أخذت نفسًا كبيرًا قبل أن تقرر التحدث:
_لن تفهمني يا أبي، سوف تظن أنني.... أضخم شيئًا غير مُهم أكثر من اللازم.

قال بابا سنجوب بِحنان، وَهُوَ يُربّت علىٰ رأسِها:
_قُصِّي عليّ ما الذي حدث، وَأعدُكِ أنني سأتفهمكِ!
اطمئن قلب السنجابة الصغيرة قليلًا وَما لبثت أن تتحدث حتىٰ تجمعت الدموع بين عينيها تنطق:
_لقد كُنا أنا وَآسري مُنذ أول يوم لنا في المدرسة عندما ننتهي مِن جميع الدروس التي لدينا، نذهب لِنأكل الآيس كريم مِن متجرٍ قريب لِلمنزل، لكنه تعرف على صديق جديد وأصبح يخرج برفقته بعد المدرسة كثيرًا ويتركني، وهذا جعلني أشعر أنه استبدلني!

كاد يتحدث آسري مُدافعًا عن نفسه لِيُفهمها أنها الأهم بِالنسبة له، وَلكن قاطعه بابا سنجوب:
_أتركها تكمل يا ولدي، اكملي.

شربت حوري مِن كوبٍ من الماء قد كان علىٰ طاولة صغيرة الحجم بِجانب كُرسي بابا سنجوب، ثم جمّعت أنفاسها تُكمل:
_قد كُنا اتفقنا منذ أيام أننا سوف نذهب اليوم إلىٰ المتجر كَالمُعتاد، لكنه لم يتذكر! وَقد جرحني هذا، وَأكّد لي أنه لم يعد يُحب قضاء الوقت معي، وَقد كرهته لِلحظة وَلم أحب هذا الشعور يا أبي!

اخرجت حُوري حزنها المكتوم مِن أيامٍ علىٰ هيئة دموع غزيرة، احتضنها آسري فورًا، وَظل يعتذر كثيرًا وَيقسم لها أنها أهم شخصٍ لديه، وَأخبرها مرارًا أنه يستحيل عليه استبدالها بِشخصٍ آخر!

أحضر بابا سنجوب منديلًا ورقيًا وَأعطاه لِحُوري،
ثم جلس مُبتسمًا وهو يقول:
_أفهمك يا ابنتي، وَالمشاعر التي شعرتي بِها ليست مُشكلة، الأفضل أنكِ اخرجتِ ما في قلبك، لكي لا يكبر بداخلك.

صمت قليلًا يسترجع أنفاسه التي سُرقت منه لِلحظات، ثُمَ أكمل:
أتعرفين! يذكرني حديثك بِسنجابةٍ مشاعرها تتحكم بِها، وَكانت صامتة مُعظم الوقت، وَذلك جعل المشاعر السيئة تكبر بداخلها حتٰى غرقت في مُحيطٍ أسود، مثلما تُحب هِيَ أن توصفه، وَكانت.....

قاطع بابا سنجوب، صوت ماما سنجوبة مِن خلفهم قائلةً بِمرح:
_أرىٰ أنك أصبحت كُل يومٍ تحكي عني، هل اتخذتني مُحتوىٰ حكاياتك!

ارتفعت ضحكات الجميع، نظر لها بابا سنجوب، يغمز بعينيه رادفًا بِابتسامة:
_وَإن ظللتُ أحكي عنكِ كُل يومٍ، وَكُل ساعةٍ في اليوم، وَكُل دقيقة تمرُّ عليّ، وَكُل ثانية أُقضيها في الفراغ، لن يكفي.

اندفعت الدماء الحارة في جسدها تتسبّب في حُمرةٍ طفيفة علىٰ وجنتيها، لكن كان لِبابا سنجوب رأي آخر عندما أكمل مازحًا:
_لن يكفي، لأنكِ أصبحتِ سمينة بعدما حملتِ مرتين فقط!

وضع آسري وَحوري أيديهم علىٰ أفواههم في مُحاولَةٍ كي لا تهرب منهم أصوات قهقهاتهم، أمّا ماما سنجوبة فَقد اصابتها سكتة لسانية، لم تستطع استيعاب ما قاله! قررت حوري انقاذ الموقف سريعًا، فَقالت وَهِيَ تنظر لِبابا سنجوب:

_أبي، أكمل لنا كيف كانت أمي؟

كاد أن يرد وَلكن منعته عينان تُخرجان نارًا خلف آسري وَحوري، نعم إنها النظرة التحذيرية مِن ماما سنجوبة، تراجع سريعًا يقول مثل الشخص الذي تذكر شيئًا:

_أليس لديكما فروض مدرسية! هيَّا هيَّا غدًا سأحكي لكما ما تُريدان.

تذمر السنجابان الصغيران، وَهُما يُغادران بعدما احتضنا بعضهما اعلانًا لِعودة السلام لِعلاقتهم مرةً أُخرىٰ، ابتسمت ماما سنجوبة بِسعادةٍ غامرة وَلكن سقطت ابتسامتها سُرعان ما تذكرت ابنها الكبير، نطقت بِاستياء:

_حاولت الحديث معه لكنه لم يتجاوب، دُومي ليس بخير!

تنهد بابا سنجوب بِحيرة، واضعًا يده علىٰ رأسِه، قائلًا:

_أعلم...

صمت يُجمّع الكلمات بين شفتيه، ثم أكمل بِعجز:

_وَأجهل كيف أساعده..

هل تعلم يا صديقي
أن السنجاب يعيش منفردًا؟ إلا في وقت التزاوج!

وعند هذه النقطة، اصدم كل مرة فلقد ألفت قصصًا عن أسرة سناجب، والسناجب تعيش بمفردها من الأساس؟ كم أنا مثيرة للضحك!

ملحوظة: هذه المعلومة لا تنطبق على السناجب الأرضية فهي تعيش في مجموعات صغيرة.

تحياتي بابا سنجوب.



{الحِكاية الثالثة}
لماذا هُوَ مميز؟

توالت الأيام الروتينية علىٰ أسرة بابا سنجوب، سار الجميع علىٰ أحداث يومه الاعتيادي دون زيادة، وَذات يومٍ حَلّ فيه الليل على منزل الشجرة، انطفأت أنوار الغرف، وَأعلن الجميع استسلامهم لِلنوم بعد يومٍ شاق.

مرت خمس دقائق، لِنرىٰ نافذة أحد الغرف تنير من جديد! يملأني الفضول، مَن الذي لم يستطع الهروب مِن الواقع لِعالم الأحلام!

وَبين همساتٍ صغيرة بدأت في الظهور، نقترب لِمُشاهدة مَن استيقظ حتىٰ يظهر أن أسري َحوري قد صنعا خيمة من مِلاءات أَسِرَّتِهِمْ، وَكالمُعتاد يتناقشون في أمرٍ ما حدث بالمدرسة..
في أَثناء ذلك استيقظ بابا سنجوب يتلمس حلقه الجاف بِانزعاج، توجّه خارج الغُرفة لِيروي عطشه،

صادف هذا مروره بِغرفة حُوري وَآسري، لفتت انظاره اضاءة خافتة، قرر الدخول لِيعلم ماذا يحدث هناك؛ فَوجد الخيمة الكبيرة التي صنعها الطفلان، تظهر منها اضاءة مصباح خافتة،

استلقىٰ بابا سنجوب لِيصل إلىٰ بوابة الخيمة القماشية، قائلًا حينما اصبحا تحت مرأىٰ بصره:
_لماذا مازلتم مُستيقظين أيُها الشقيان؟

فزع السنجابان مِن صوت والدهم المُفاجئ لِلحظة، ثُمَ قالا في نفس الوقت:
_لم نستطع النوم.
أخذهم بابا سنجوب بين ذراعيه، يربّت عليهما، قائلًا:
_لماذا يا صِغاري! ماذا يشغل عقلكما الصغير؟

تشارك الأثنين في سرد ما حدث، بدأ آسري أولًا ينطق بِضجر يطوف حوله غضب طفيف
_اليوم قد انضم في فصلنا طالب جديد..
قاطعته حُوري تُكمل هِيَ بِتوضيح:
_لكنه ليس مِن السناجب الشجرية بل سنجاب طائر!

أضاف آسري عاقدًا حاجبيه بِاستنكار واضح:
_لم أحبه يا أبي، لقد كان مُتكبرًا جدًا، ذهبت لِمُصادقته لكنه عاملني كأنه أفضل مني!
قاطعته حُوري مُجددًا وَكأنهما يتبادلان الأدوار في الحديث، تتساءل لِتُسكت فضولها:
_ماذا يميزه عنّا يا أبي! إنه سنجاب مثلنا لكن نوع آخر، ما المُميز!

اعتدل بابا سنجوب في جلسته، مُشبكًا ساقَيْهِ أمامه، بينما استلقىٰ آسري علىٰ معدته مُنتظرًا حديث والده بحماسٍ، أمّا حُوري فَشددت علىٰ عِناق دُميتها الصغيرة تلمع أعينها بتشوق لِسماع الإجابة،

لاحظ بابا سنجوب انتظارهم اجابته فَجمّع الهواء داخل رئتيه لِلحظات حتىٰ دفعه دُفعةً واحدة مُتحدثًا:
_سؤالٌ جيد يا حوري، الأمر بِكُل بساطة.. إنها كذبة!

صمت قليلًا يُتابع اندهاش الصغيرين طالبين توضيحًا:
_نعم صحيح كما سمعتما! كذبوا ثم صدقوا نفسهم، أخبرونا لِتوازن العالم يجب أن يكون هُناك [فقيرٌ وَغنيّ] وَأصبح العالم ينقسم إلىٰ طبقات، مَن بدأ وَصنع هذه الطبقات؟ ما فائدتها مِن الأساس! لا نعلم، لماذا نسير خلفها؟ لا يوجد اجابة

صمت بابا سنجوب يستجمع أنفاسه ثُمَ أكمل:
_الحقيقة، أنه لا فرق بينكم وَبين هذا السنجاب، كلكم سناجب بِاختلاف الأنواع فقط! لماذا هُوَ مميز؟ مَن جعله مُميزًا؟ جميعها أَسئلة طُرِحَت وَلم يُجِب عليها أحد!

رفع كتفيه مع ابتسامة بسيطة وَأردف:
_هل لأنه سنجاب طائر؟ إنه حتى لا يستطيع الطيران!
وَإن يكن، لو كان يستطيع.. ألن يكون مِن فصيلة الطيور؟

سحب بابا سنجوب الطفلين، تدور ذراعه حولهما بِشكلٍ يبعث الدفء في أنفسهما، ابتسم بِهدوء ثُمَ أضاف بِحنان أبويّ:
_لا يوجد ما يجعل السنجاب مُميز غير شيءٍ واحد..!

توقف قليلًا ينظر لِلطفلين داخل أحضانه مُنتظرين اجابته بِشوق، فَقهقه بِخفّة يُشير نحو موضع قلوبهم:
_هُنا.. في الداخل! ليس هناك ما يجعل السنجاب مميزًا إن كان ذكرًا أو أنثىٰ، سِوىٰ ما يقبع داخل أضلاعه، كُل سنجابٍ خُلِقَ لِيكون نفسه، لِكُل سنجاب قلب ينبض أحلام وَأفكار، ينبض أفعال وَأقوال.. هذهِ هِيَ طبيعة خلقنا أن تدفَّق كُل مشاعرنا مِن قلوبنا حتىٰ اوردتنا حتىٰ.. تخرج لِلعالم الخارجيّ!

في أثناء حديثه كانت تسير أصابعه علىٰ أجسادهم تصف كلماته بِدقة، ثُمَ اختتم حديثه بِابتسامة:
_وَهذا ما يجعل كُل سنجابٍ مُميز.. أنه لم يفقد هويته! فَقلوبنا هويتنا.

وقف بابا سنجوب، مُقبلًا رأس كُل مِن حُوري وَآسري، قائلًا وَهُوَ يغلق الباب خلفه:
_هيا لِيذهب كُل واحد لِفراشه الآن، لديكم مدرسة غدًا.

أغلق الباب وَهُوَ يتنهد بِأسفٍ علىٰ حال الغابة التي كُل يوم تنحدر أكثر إلىٰ الضياع..

{في غُرفةِ دومي}
استلقىٰ دومي كعادته -مؤخرًا- علىٰ فراشِه، يُحدق في السقف بِشرود، يشعر بالفراغ ولا يعلم السبب، اصبح ضائعًا لا يعلم أي طريق هُوَ مراده! ماذا يفعل في هذهِ الحياة، وَفي هذهِ.. الغابة!

يُراوده دائمًا أنه وحيد! لماذا؟ لماذا يشعر بِهذا الشعور الذي ياكله مِن الداخل، اصبح يُزيف كِل شيء، سعادته، ابتسامته، نفسه!

وَالأسوأ أن طاقته في التمثيل بدأت تنفد! اصبحت النظرات المُستغربة تُوجّه نحوه رفقة اصابع الاتهام أنه هُوَ مُدَّعي الكآبة!

"ما به؟"
"اصبح لا يُطاق"
"لا يعجبني"
"كان مرحًا"

جُمل اعتادت أُذنه علىٰ سماعها حتىٰ باتت لا تتحمل ذِكرها فَيركض نحو غرفته لِيختبئ مِن ضجيج العالم.. وَرأسه!

تنهد دومي، يشعر بِحرارة تأكل قلبه، تقلَّب لِيصبح نائمًا علىٰ معدته، ثم أبعد الوسادة قليلًا لِتظهر مذكراته العزيزة، رفيقة محنته هذه الأيام، أخرج بعدها قلمًا من حقيبة كانت قريبة مِن سريرِه، ثم بدأ ينقش الكلمات التي في خاطرِه:

"تمزقت أوراقي وَجفَّ قلمي،
تبعثرت حروفي وَضللتُ طريقي.

كم كان سؤالًا بسيطًا في الماضي،
مَن أنت؟ _أنا دومي

أما الآن، لم أعُد أعلم مَن أكون.."

أغلق دومي دفتره سريعًا، بعدما سمع خطواتٍ قريبة مِن غرفتِه، واضعًا الدفتر في مكانه تحت الوسادة، ثم أغلق عينيه، فتح بابا سنجوب الباب، ينظر مِن فتحة صغيرة ليرىٰ دومي نائمًا بِعمق -اجاد تمثيله- بِدون غطاء،

اقترب بابا سنجوب بِبطء لِيضع غطاءً عليه، ثم قبله فوق رأسه، قائلًا بِهمسٍ، كي لا يوقظه:
_اتمنىٰ أن تجد طريقك يا ولدي، وَأن تخرج مِن المُحيط الأسود الذي تغرق به..

هل تعلم يا صديقي
أن السناجب الشجرية تستخدم ذيولها للقفز بين أغصان الشجر؟

والسناجب الأرضية تتميز بقدرتها على الحفر

والسناجب الطائرة لديها غشاء جلدي يتصل من ذراعيها لقدميها، يساعدها لتنزلق من شجرة كبيرة لشجرة أخرى أصغر، فهي يا صديقي (لا تطير)

تحياتي بابا سنجوب.



{الحكاية الرابعة}
تائهٌ في غابة كبيرة

فوق غابتنا المفضلة، أثناء الساعة الرابعة عصرًا، مع انكسار الضوء قليلًا بين أفرع الأشجار الكثيفة، كان يسير آسري ذاهبًا إلىٰ المنزل، بعد يومٍ شاق في المدرسة، وَعلىٰ غَير المُعتاد لا نرىٰ شقيقته حُوري بِجانبه! لكن وَما ذنبها هِيَ؛ فلقد استيقظت لا تقوىٰ الحراك بِسبب ذلك الزكام القوي.

تنهد آسري بِضيقٍ، وَهُوَ يركل الأحجار الصغيرة التي تأتي أمامه، مُفتقدًا وجود شقيقته، وَخيط صبره الرقيق بدأ يتشقق مِن لوعة انتظار عودته لِلمنزل لِيقصَّ علىٰ رفيقته الغائبة اليَوم كُل مشاعر غضبه وَاحتقانه مِن ذاكَ المُتكبر "السنجاب الطائر!"

أخذ يُحادث نفسه بِشرودٍ، وَعقله اصبح في عالم آخر لا ينتبه لِما حوله، وَظلَّ يسير دُون النظر إلىٰ وجهتِه، حتىٰ تعثر بِشيءٍ كبير خلَّ بِتوازنه لكنه سُرعان ما توازن ثانيةً، شهق بِصوتٍ خافت حينما رفع رأسه لِيجد نفسه في مكان يجهل هويته!

وقف خائفًا، ضاق صدره وَاصبح التنفس صعبًا وَالهواء ثقيلًا، نظر يمينًا وَيسارًا، وَبِكُل الاتجاهات، تحاصره الأشجار مِن كُل ناحية، جميعها مُتشابهة، يشعر أنها تراقبه ضاحكةً بِسُخرية منه، ارتجفت ركبتاه غير قادرة علىٰ حملِه فَجلس علىٰ الأرض وَالهلع يُسيطر عليه، لا يجد الممر الذي جاء منه، يتزايد الخوف، وَتتزايد معه الأفكار الأكثر خوفًا،

انشغل عقله بِالاحتمالات السيئة وَتناسىٰ تمامًا كيف يتصرف في مثل هذه المواقف!
خاف مِن أنياب ذئب مُفترس يهوىٰ قتله، أو طائر عُدوانيّ يُقطع جلده بِمخالبه الحادّة، أو.. ثُعبانٌ ضخم ينشر في جسدِه سمه القاتل!

وَبين فكرة مُرعبة لِفكرة مُرعبة أكثر مِن التي قبلها، تذكر عائلته.....ماذا سيحدث لو لم يعد! ستقلق ماما سنجوبة وَتصمت كاتمةً حُزنها داخلها، وَسيحزن بابا سنجوب وَيضيع بين حكمته، سيغرق دومي أكثر في عزلته، وَستفقد حُوري بريقها وَحماسها بل ستذبل! لا.....لا أريد أن أكون سبب هذا الألم لهم لا!

عند هذهِ النقطة انهار أسرى بين خوفٍ علىٰ نفسه وحُزن علىٰ عائلته إن لم يعد، لاحظ آسري غياب الشمس قليلًا، فَعلم أن الليل علىٰ وشك أن يغطي ظلامه الغابة كلها، تنفس بِعُمق عدَّة مرات، ثم قرر الوقوف وَاكمال سيره والبحث عن أي مخرج لِهذهِ المتاهة.

سار لِمُدة طويلة لا يعلم مقدارها، وَهل هِيَ طويلة حقًا أم هُوَ الذى تعب، آلمته قدماه، وَنفدت طاقته، نظر حوله باحثًا عن مكانٍ يرتاح فيه، فَرأىٰ شجرةَ توت، تحمل حباتٍ زرقاء لامعة، انبهر بِجمالِها وَبريق حباتها، التي يظهر عليها أنها طازجة، فَجلس بِجانبها بِتعبٍ مُتنهدًا، يخرج كُل الارهاق الذي يشعر به في شكل أنفاس عالية.
بتسم يمد يده لِيأخذ مِن ثمارِها،

لكنه تراجع خوفًا من أن تكون مسمومة، لا يعلم لماذا لكنه اطمئن لها، فَلا يبدو عليها أنها تحمل بِداخلها سم قاتل!
مد يده مرة أخرىٰ وأخذ خمس حبات، ثم وضعها في فمه بِبطء، ليتفاجأ بطعمه السكري الذي يذوب من كثرة حلاوته، بعدما انتهىٰ مِن أكله، جمع بعض التوت ثم وضعه في غلاف بلاستيكي شفاف في حقيبته.

انتبه آسري لِظلٍ يتحرك بين الأشجار، وَلاحظ أيضًا أن الظل يقترب منه رويدًا رويدًا، انقبض قلب السنجاب الصغير، مُتوقعًا أن نهايته قد اقتربت، لا يعلم هل يستسلم أم يقاوم، وَماذا سوف تفيد المقاومة إن كان حيوانًا مُفترسًا!

حاول أن يجعل عقله يصمت، وَيركز، ضرب رأسه قائلًا داخله "كم أنا غبي، أنا سنجاب شجري! استطيع تسلق الشجر" ذهب فورًا مُتسلقًا شجرة كانت خلفه، لكن وَقبل أن يتسلق عاليًا افزعه صوتًا جاء مِن جانبه، قائلًا بِمرح لا يُناسب الموقف:
_أنتَ يا صغير، ماذا تفعل هنا بِمُفردك وَالليل علىٰ وشك القدوم؟

خارت قوىٰ آسرى مِن شدة الخوف، وَكاد يسقط علىٰ الأرض، لولا أنه وقع علىٰ فروٍ ناعم، نزل مِن عليه سريعًا، ناظرًا علىٰ الاثنتين اللتين تقفان أمامه بِحيرةٍ، وَالذي اتضح أن الكائن المفترس كانت قطة بيضاء اللون، فروها منفوش، ترتدي شريطًا زهريّ اللون، وَالذي أفزعه قبل أن يستطيع الهروب متسلقًا الشجرة كانت غزالة طويلة قليلًا رشيقة، ذات أعين بُنية،

قال بِتساؤل:
_من أنتما؟
أجابت القطة أولًا، بِصوتٍ هادئ:
_أُدعىٰ هنون، وَالغزالة تُدعىٰ بابلز.
قالت الغزالة، وَهِيَ تُحرك رأسها بِمرح:
_مرحبًا.

أكملت هنون، وَهِيَ تنظر إلىٰ آسري، في مُحاولةٍ لِجعل خوفه يذهب:
_لا تخف نحن لن نؤذيك، لقد لاحظنا حركة عند شجرة التوت، فَجئنا لِنرىٰ مَن هناك.
اطمئن السنجاب الصغير قليلًا، فَقال لِيقطع حبل الخوف:
_اسمي آسري، وَأنا تائه لا أعلم طريق المنزل.

عندما انهىٰ كلمته الأخيرة، سمح لِنفسه بِالانهيار بعد كتمانه لِلبُكاء مِن الصباح، اقتربت هنون وبابلز له، محاولين تهدئته، ثم قالت بابلز:
_مِن أين أنت؟
قال من وسط شهقاته:
=قرية السناجب الشجرية.

استعدت بابلز لِلركض، تبحث عن القرية، قال آسري وَهُوَ يمسح دموعه:
_أين سوف تذهب! هل ستبحث عن قريتي؟

أومأت هنون، ثم قالت:
_ما مُشكلتك يا آسري؟
لم يفهم ماذا تقصد، فَأعتقد أنها تقصد حالته، فَأجاب:
_انني تائه.
=لا ليس هذا، أرىٰ في عينيك حُزنًا آخر، ماذا بك؟

توتر آسري، وَشرد في شيءٍ ما، لم يعلم هل يخبرها أم لا، هل ستفهمه؟ لا يظن يصعب علىٰ الجميع فهم مشاعره، بِاستثناء حُوري لكنها ليست هُنا.

ظلَّ يُفكر قليلًا، ثم قرر أنه لن يتوقع أن تفهمه هنون، لكنه سوف يخبرها لِإخراج الحُزن الذي بِداخله، نظر إلىٰ السماء بِعينين تتذكر كُل أحداث اليوم، قائلًا:
_لا أعلم هل تعرفين حلوىٰ السناجب أم لا، لكن هناك حلوىٰ بندق مُغطاة بِالعسل للاطفال الذين ما زالوا لا يستطيعون كسر البندق بأنفسهم، لكنها حقًا طعمها رائع، فمازلت اشتريها وكثيرًا أيضًا.

تنهد، ثم أكمل:
_هنالك سنجاب جديد، سنجاب طائر، حاولت مُصادقته لكنه يرىٰ أنه أعلىٰ مقامًا من السناجب الشجرية، اليوم رآني أتناول هذه الحلوىٰ، ترك الجميع وَجاء لي يسخر مِن تصرفي وَأنني مازلت طفلًا بِسبب أكلي لِهذهِ الحلوىٰ، وَعند العودة ظللتُ أُفكر في حديثه وَلم أفهم سببه حتىٰ، كُنت تائهًا، لا أعلم هل هُوَ مُحق أم لا، ثم وجدتني تائهًا في الواقع أيضًا.

ضم ذراعيه أمام صدره، قائلًا وَقد أصبح صوته مبحوحًا:
_وهذا أكبر دليل أنني طفلٌ حقًا! فَكيف لسنجابٍ أن يضيع في غابته!
اقتربت منه القطة هنون، ثم نظرت هِيَ أيضًا إلىٰ السماء وَجمال النجوم المُتلألئة، قائلةً بِصوتٍ حنون:
_جميعنا يا آسري بِداخلنا طفل، يجب عدم تركه وحده وَنسيانه! مَن يحب شيئًا فَليفعله، ماذا بِها الحلوىٰ؟ من قال من الأساس أنها للاطفال فقط! وإن يكن لنفترض أنها للأطفال، ما شأنه هو بالذي تأكله؟

نظرت إليه، وهي تكمل:
_يا أسري إنهم يطمسون الطفل الكامن في أعماقهم، ولا يدرون كم سيترك ذلك أثرًا فيهم، فلا تكن مثلهم، لأن هذا سوف يغيرك أكثر مع مرور الوقت، ولن تعلم من تكون! سوف تنسى هويتك، فلا تهتم لهذا السنجاب الأخرق.

كان الحديث يدور في عقله باستمرار، لقد اقتنع به، قائلًا بِداخله "إنها علىٰ حق، لا يجب عليّ الإهتمام بِحديث سنجاب قد قرر دفن الطفل الذي بِداخله، لأنه وُلد لِيجد نفسه أفضل مِن الجميع! كان يجب عليه البحث أكثر هل هُوَ كذلك أم لا"
قاطع تفكيره صوت الغزالة بابلز، تقول بِحماس:
_هيا أيُها السنجاب الصغير البطل، لقد وجدت قريتك وَإنها قريبة مِن هُنا، تعال خلفي.
كاد يذهب ورائها، لكنه التفت لِلقطة هنون مُبتسمًا قائلًا بصدق:
_أشكرك.

ثم واصل السير خلف بابلز، وَعلىٰ طول الطريق كانا يمزحان، وَيدردشان، اخبرها أيضًا عن السنجاب الطائر، وَفكرته الغريبة، مِمّا أدى إلىٰ انعقاد حاجبيها بِضيقٍ مما سمعت، ثم قالت باعتراض لكن بأسلوبها:

_من أبدل عقل هذا السنجاب بحبة بندق؟ لا أصدق كم أن تفكير بعض الحيوانات سطحي لهذه الدرجة، حقًا! الحلوىٰ أصبحت تحدد هل نحن أطفال أم لا!

التفت الغزالة بابلز لِآسري، قائلةً:

_لا تدع هذا الكلام يؤثر بك، فكِّر قليلًا هذا كلام غير منطقيّ، وَحتىٰ لو كُنّا أطفالًا؛ ما المُشكلة! ما اجمل الطفولة!

أكملا سيرهما حتىٰ انتهىٰ الطريق، وَودّع آسري بابلز وَانهىٰ وداعه بِشكرِها، وَأوصاها أن تشكر القطة هنون أيضًا، وَأن تعتني بِشجرة التوت، يمكن أن يضيع مرة أخرىٰ، ويجوع في الطريق!

وصل آسري لِمنزله، لم يكُن يملك طاقة كافية لِيخرج المُفتاح الخاص بِالمنزل؛ فَطرق الباب ثلاث طرقات خفيفة، لم يمر الوقت حتىٰ سمع وقع خطوات قادمة بِاتجاه باب المنزل، ثم فُتِح الباب لتظهر ماما سنجوبة تمتلأ عيناها بِالدموع،

عندما رأته أخذته بين ذراعيها فورًا، مُناديةً بابا سنجوب لِيأتي، فَقدم الجميع، بابا سنجوب، دومي، حوري، احتضن الجميع آسري ثم دخلوا لِيحكي لهم كُل ما حدث له، وَهُوَ يُخرج حبات التوت التي وضعها في الحقيبة...

هل تعلم يا صديقي
أن السناجب تتمتع بقدرة رائعة في التذكر؟
فهي تجمع المكسرات وتخبئها في في أكثر من مئة حفرة، فيصبح لديها مخزن للشتاء.
وأن السنجاب الواحد يستطيع جمع ما يصل إلى ١٦٥ حبة بلوط في اليوم الواحد!
وفي يومين يستطيع جمع ما يكفيه طيلة الشتاء، فهو يدخل في سُبات شتوي خلال الطقس البارد.

تحياتي بابا سنجوب.



{الحِكاية الخامسة}
كسلٌ أم انعدام شغف؟

في الساعة السابعة صباحًا، استيقظت حُوري وَهِيَ تشعر بِالخمول في كُل أنحاء جسدها، لكنها لم تكترث وَذهبت لِتغسل وجهها، وَفي طريق عودتها لِغُرفتها احضرت أدواتها مِن أقلام وَألوان وَأوراق وَبعض الأشياء الأُخرىٰ.

قاطع ذلك صوت معدتها تُعلن أنها تموت جوعًا؛ فَرجعت مُجددًا لِلمطبخ وَأعدت فطورًا بسيطًا، مكونًا مِن كوبٍ مليء بِالعصير وَبعض الشطائر، ثم عادت إلىٰ مكانِها وَجلست أمام أغراضها في غُرفة المعيشة،

وَقبل أن تفعل أي شيء، شعرت بِقبضة في قلبها تعصره لِعدة دقائق، وَزادت سرعة دقاته بِدون انذار، وَكأنَّ قلبها يُحذرها مِن شيءٍ ما، حاولت تجاهل هذا الشعور وَاكمال ما تريد وتتشوق لفعله..

فَماذا يكون السنجاب دون هواياته وَما يعبر عنه!

أخذت حُوري لُقمةً مِن الشطيرة وَرشفة مِن كوب العصير، وَامسكت قلمها تبدأ الرسم وَالتصميم، وَلم تمر سِوىٰ عشر دقائق لِيُحال المكان النظيف المُرتب لِغُرفة فوضوية مُبعثر فيها كومات الورق المُموّج وَالمُمزّق،

وَكانت صغيرتنا تجلس بين كُل هذا في زاوية الغرفة عند الحائط، تسند ظهرها عليه وَتُحيط جسدها الصغير وَرأسها بين ذراعيها، كان الصمت سيد المكان بِاستثناء صوت شهقات مكتومة ناتجة عن بكائها..

******

خرج دومي مِن غرفته مُتَّجِهًا لِيضع بعض الماء علىٰ وجهه، بعد صراعٍ شديد مع الفراش في مُحاولةٍ بائسة لِلنوم، طريقة مِن طرقِه التقليدية لِلهروب عن الواقع..

مَرَّ بِجانب غُرفة المعيشة، نظر إلىٰ ساعَته فَوجدها الساعة الثامنة صباحًا، كان يعلم أن شقيقته الصُغرىٰ تستيقظ باكرًا كُل يوم، فَقرر الذهاب وَالاطمئنان عليها، رغم أنه اصبح بعيدًا كثيرًا عن العائلة، ألا أنه يطمئن عليهم بِمُراقبتهم،

أخرج وجهه مِن خلف الحائط، ناويًا أن يختلس نظرة سريعة ثم يعود لِغُرفته، لكنه صُدم عندما رأىٰ حُوري تبكي؛ لم يعلم ماذا يفعل، توقع أنه سيراها نشيطة مثل كُل يوم!

ارتبك دومي، وَتَسَمَّرْ مكانه، فقَد انقطع عن التواصل مع اخوته مُنذ فترة عندما شَعر أنه ليس علىٰ ما يُرام، بعد الكثير مِن التفكير تقدم بِاتجاه حُوري، وَهُوَ يختار اسخف فعل يفعله في مثل هذا الموقف، فَقد ابتسم ابتسامة مُصطنعة وَهُوَ يتحدث بِتقطع:

_حُوري...كيف حالك؟

رفعت رأسها، وَالدموع تنهمر مِن عينيها، رمقته بِصمت ثم اشاحت بِصرها؛ فَلم تكُ في حالة تسمح لها بِالحديث، فَالألم كان يتدفَّق مِن قلبها نحو عقلها مُشتتًا له، مُعبرًا عن خوفه الكبير مِن فَقد الهوية التي تُمثله "موهبته".

في الناحية الأُخرىٰ، علم دومي أنه لم يُصِب بِهذهِ البداية، وَرُغم اختلاف الأسباب.. ألا أنه فهم وجع حُوري، فَهُوَ الآخر يتألم داخله، تهادىٰ في مشيته حتىٰ وصل إليها، جلس بِجانبها صامتًا يضم قدميه لِصدره، ينظر لِلفراغ أمامه؛ ليس لديه ما يقوله أو ما يُقدمه غَير وجوده، هُوَ أكثر من يعلم أنه لا يُجيد المُواساة..

نظرت إليه حُوري مرةً أُخرىٰ وَهِيَ تمسح دموعها بِيديها، لم تعلم هِيَ أيضًا ماذا تقول، لكن مِن داخلها شكرت أخيها كثيرًا لأنه لم يتركها بِمُفردها، وَفي حركةٍ تلقائية منها اندفعت نحو دُومي تُعانقه بِهدوء،

تشنج جسد دُومي بِذهول مِن حركتها المُفاجأة، ابتلع ريقه بِتوتر، رفع ذراعيه بِبُطء يُحاوط جسدها الصغير هُوَ الآخر، يستشعر دفء عناق أُخته وَكانت هذهِ المرة هِيَ الوحيدة مُنذ فترة يشعر فيها بِـ.. الحنان!

جلسا بِهذهِ الوضعية أكثر مِن خمس عشرة دقيقة ساكنين لا يقوىٰ أحدهما علىٰ اخراج حرفًا مِن فمِه، حتىٰ قطعت حُوري الصمت قائلةً وَقد اختفت البحة مِن صوتها:

- مرَّت ثلاثة ايام وَأنا علىٰ هذهِ الحالة..

عند انتهائها مِن جُملتِها اشارت علىٰ كوماتِ الورق البعيدة عنهما، ثُمَ اكملت حديثها:
_لم يعُد لديّ طاقة لِفعل أي شيء أحبه، وَلا أعلم السبب! هُنالك خوف داخلي مِن أن أظل هكذا طيلة الحياة... دُون هواية تُعبّر عن هويتي!

تنهد دُومي، وَهُوَ يُربّت علىٰ رأسِها بِحنان بالغ، ثم باح مُخرجًا بعض الكلمات بِصعوبة وَبِصوتٍ خافت:
_افهمك، حقًا لستُ أقولها مِن فراغ، أعلم ما تشعرين به الآن فَقد شعرت به وَكم كان صعبًا!

ابتعد دومي ثم مالَ بِجسدِه لِيكون امامها، ثم أمسك بِكتفيها يُحاول أنِ يُجمّع جُملة مُفيدة، لكن كُل حرفٍ منه يخرج بِارتعاشةٍ فَمَن اعتاد الصمت يرتجف أثناء الكلام..
لكنه في النهاية قال بِاعتراض وَخوفٍ علىٰ شقيقته أن تغوص في نفس الدوامة التي غاص بِها:
_لكن لا يا حوري، أنتِ لستِ فاشلة وَلن تكوني أبدًا كسولة، اياكِ أن تغرقي في بحر الأفكار هذا، أرجوكِ لا تستسلمي، فَأنتِ تَرين كيف حالي!

عند هذهِ الكلمة استوعب ما قال، فَرَّتْ دمعة مِن عينيه، فَابتسم بِألم يُزيحها سريعًا في مُحاولةٍ منه لِاخفاء ضعفه وَالصراع الذي يخوضه كُل يوم، ثم قَبَّل جبهتها، وَغادر بِصمت إلىٰ كهفه الحزين،
تاركًا وراءه مَن انفطر قلبها أثر حديثه، وَالأكثر أثر فهمها لِصمتِه الدائم...

ذهبت حُوري إلىٰ المرحاض تغسل وجهها، يدور في عقلِها حديث أخاها الذي يُحذرها مِن الاستسلام وَأنها ستضيع لو استسلمت،

في هذا الوقت خرج دومي مرةً أُخرىٰ مِن غُرفتِه وَذهب سريعًا لِغُرفة المعيشة، لِيُزيح جميع الأوراق المُبعثرة، ثم وضع دفترًا يُشبه دفتره قد كان اشترىٰ الاثنين معًا، وَوضع بِجانب الدفتر قلمًا، وَعندما انتهىٰ عاد أدراجه إلىٰ غُرفتِه، قائلًا بِداخله:
" أتمنىٰ أن يُفيدك يا حُوري، ولا أراكِ تُصبحي مثلي".

هل تعلم يا صديقي
أن التواصل بين السناجب يكون بأصوات عديدة؟ مختلفة!
وعندما تنزعج (وهي شديدة الانزعاج)
تعنف بعضها بصرخات عالية وأصوات مزعجة.

تحياتي بابا سنجوب.



{الحكاية السادسة}
انهيار

في الطريق المؤدي إلىٰ منزل الشجرة، نرىٰ بابا سنجوب بِشكلٍ مختلف تمامًا، لم نره به في الحكايات السابقة..
فَقد كان يسير مُطأطئًا رأسه شارد في الفراغ أمامه، عيناه مكسورة وَقد بلغها الحُزن، يخطو بِخطواتٍ ثقيلة كأنَّ هموم العالم كله تقع فوق عاتقيه، وَكان شكله الخارجيّ مُبعثر كَداخله؛ فَقد ملأ وجهه وَملابسه آثار فحمٍ وَدُخان، وَهُناك بعض آثار الحرق البسيطة علىٰ وجهه،

أكمل طريقه بِهذهِ الحالة البائسة حتىٰ وصل إلىٰ وجهتِه، دخل المنزل صامتًا مُتجهًا إلىٰ كُرسيه، مَرَّ بِجانب دُومي في طريقِه دون أن ينبس بِبنت شفة، تعجب دومي فَهُوَ غَير مُعتادٍ علىٰ ذلك الأسلوب مِن والده.

جلس بابا سنجوب، واضعًا يداه علىٰ وجهِه مُطلقًا أنينًا خافتًا، زادت صدمة دومي فَلم يتخيل يومًا أن الرجُل الذي قضىٰ سنوات عُمره يُعلمهم الصبر وَالحكمة ينهار بِذلك الشكل! وَلِمعرفة سبب نفاد صبره سَنتعمق داخل عقله..

في الداخل، نراه يتذكر شيئًا ما، حادث قد صارَ بِمقر العمل الخاص به:
منذ خمس ساعات تقريبًا، في مقر عمل بابا سنجوب لِجمع البُندق وَتخزينه، كان جميع السناجب يعملون بِنشاطٍ وتركيزٍ، لكن....

اخترق هدوء النهار، صوت فرقعة كبيرة تأتي مِن اتجاه المخزن الأساسي، تعالىٰ الصُراخ في الظهور عندما بدأت ألوان اللهب الساطعة في سرقة الأدوار، وَما أقصده هُنا ضخامتها في هذهِ اللحظة؛ فَلَم تَمُر ثانية وَقد كانت النيران تُمسك في نصف المكان،

وَبين صُراخٍ هُنا وَهُناك، وَانهيار العديد مِن أسقف المباني، كان بابا سنجوب يقف في مُنتصف كل هذا، يحمل وجهه تعابير الصدمة وَالفزع وَالحيرة حيث أن الهواء أصبح ثقيلًا مُشبعًا بِالدُخان، امتلأ جبينُه بالكثير من قطرات العرق التي تتبخر ثم تأتي مرة أخرىٰ..

لا أتعجب حالته كثيرًا، فَهُوَ في آخر المطاف المسؤول عن هذا المخزن!
كان واقفًا، يركض حَوله السناجب، منهم مَن يسعل وَالآخر يركض هالعًا..

*****

أفاق بابا سنجوب مِن هذهِ الذكرىٰ علىٰ صوت ماما سنجوبة وَهِيَ تُناديه، نظر إليها بِأعيُن دامعة، فتح فمه مُحاولًا إخراج بعض الكلمات لا أكثر، لكن لم يستطع، فَقال هامسًا وَهُوَ يعود إلىٰ وضعيتِه السابقة:
_اتركيني الآن يا سنجوبة.

اعترضت ماما سنجوبة وَأعادت السؤال مرة أُخرىٰ بِإصرار وَخوفٍ داخلي:
_ماذا بك يا سنجوب! أخبرني ماذا حدث، وَاجعل قلبي الصغير يطمئن.

انفعل بابا سنجوب تلك المرة، قائلًا بِصُراخ:
_قُلتُ أُتركيني الآن!

أخذت ماما سنجوبة خطوة إلىٰ الوراء، لا خوفًا منه بل لأن القلق كان يكتم أنفاسها؛ فَلم يغضب بابا سنجوب هكذا مُنذ وقتٍ طويل وَكانت المُشكلات تُحل بعد تفكير كثير، فَماذا حدث!

انتبه بابا سنجوب لِصمتِها فنظر لها، رأىٰ القلقِ يحتل عيناها، آلمه قلبه لأنه سبب هذا القلق، لكن ليس بِيدِه! فَتلك المرة الأمر خرج عن سيطرته وَنفدت حيلته!

نظر إلىٰ يمينه فَصُدم بِوجود كُلًا مِن حوري وَآسري ينظران له بِاستغراب وَقلق أيضًا، فَهُما لم يشاهداه بهذهِ الحالة مِن قبل!

لكن ترجم بابا سنجوب نظراتهم أنها خوف منه، فَضغط عليه هذا أكثر، لم يفكر للحظة، فَوقف يسير بِخطواتٍ سريعة لكي لا يلحقه أحد، ثم خرج مِن المنزل تاركًا قدميه تقوده تحت مُراقبة أعيُن مَن يحبهم وَيحبونه بِتعجُّب مِن أمرِه!

*****

في شُرفة منزل الشجرة، كانت ماما سنجوبة واقفة، تسند جسدها علىٰ سُورِ الشُرفة، تنظر إلىٰ الفراغِ أمامها يثقل الهَم رأسها، مُنتظرةً عودة بابا سنجوب فَقد حَلَّ منتصف الليل وَلم يَعُد بعد..

امتلأت عينا ماما سنجوبة بِالدموع، لكنها لم تسمح لِدمعة أن تسقط، تنهدت مُخرجةً كبتٌ كبير يخنق قلبها عبر فمها، فَالقلق ينهشها من الداخل علىٰ بابا سنجوب ثم....

لاحظت تحرك شيء بعيد وَعندما دققت أكثر في اتجاهه، رأت ظلًا يخترق الظلام تتوجه خطواته بِاتجاهها، ظهرت ملامحه عندما اقترب أكثر واتضح أنه بابا سنجوب، يُمسك بِيدِه كيسًا بلاستيكيًا.

أنارَ وجه ماما سنجوبة وَرقص قلبها فرحًا وَاطمئنانًا لِعودة زوجها العزيز، أخذت بضع خطوات بِاتجاهه وَهُوَ الآخر اسرع خطواته حتىٰ وقفا أمام بعضهما، وَقبل أن يقول بابا سنجوب حرفًا سبقته هِيَ بِوجهٍ بشوش:
_مرحبًا بِعودتك إلينا، سالمًا نفسيًا كما يبدو، انتظر أنتَ تعلم أنني لن أتنازل وَسوف تخبرني ماذا حدث لك لِيغيرك هكذا، لكن ليسَ هذا الوقت المُناسب الآن أذهب إلىٰ أطفالك؛ فَهُم لم يستطيعوا النوم مِن التفكير وَتحليل تصرف والدهم..

صمتت قليلًا ثُمَ اضافت بِغمزة:
-لكنني كذبتُ عليهم كذبةً صغيرة تُهدئ مِن روعهم، بيضاءٌ هِيَ كما تعلم..

ابتسم بابا سنجوب بِامتنان حقيقيّ لِوجودِها بِجانبِه، بادلته الابتسامة حتىٰ تحول وجهها في ثانية، قائلة بِفضول:
_ماذا يوجد في هذا الكيس؟

قال بابا سنجوب وهو يعطيه لها:
_تفضلي وَانظري بنفسك، أيتُها المُحققة.

ثم ذهب إلىٰ الداخل متوجهًا إلىٰ غُرفة طفليه الصغيرين، اقترب مِن البابِ فَالتقطت أُذنه تهامسهم المُحبب لِقلبِه، طرق ثلاث طرقات فسمع خطوات صغيرة قادمة..

ثم فُتِحَ الباب وَظهر رأس حُوري وَالتي تفاجئت بِوجود والدها فَصاحت فرحة وَهِيَ تقفز:
_أبي! لقد عُدت...مرحة!

جاء آسرى علىٰ صوتها من الداخل يقفز مثلها عندما رأىٰ والده، احتضنهماً بابا سنجوب وَهُوَ يدخل الغرفة، وَعندما جلس الجميع، لم يصبر أسري فَسأل فورًا:
_أبي....ماذا كان هذا؟ لم أرك هكذا مِن قبل، هل أنت بخير؟

ابتسم بابا سنجوب، واضعًا يده علىٰ رأسِه، قائلًا:
_أنا بخير لا تقلق، الكبار أيضًا يا أعزائي يأتي عليهم وقت يصبحون ضعفاء، لقد كُنت ضعيفًا في الصباح فَقد مررتُ بِبعض الصعاب في العمل لا أكثر لكنني الآن بخير.
أكمل حديثه وَهُوَ ينظر لهما:
_لا أريدكما أن تقلقا، وَأيضًا لقد أحضرت معي أعواد الذرة كثيرة رائحتها بدأت في الظهور إذًا فَقد بدأت ماما سنجوبة في الشواء، مَن يُريد؟

نظر الاثنان لِبعضهما بِسعادة حقيقية وَقبل أن ينطقا أضاف بِمرح:
-وَأيضًا سأعطي لكم اذن بِالنوم المُتأخر اليوم، إن لم تقتلني أُمكما بِالطبع!

قفز الطفلان فرحًا يهتفون بِسعادة قبل أن يركضا إلىٰ الخارج عند ماما سنجوبة، أمّا عن بابا سنجوب فَنظر إلىٰ باب غُرفة دومي لِعدة لحظات، ثُمَ توجّه ناحيته بِهدوء...
طرق الباب ثلاث طرقات أيضًا، مُردفًا:
_دومي...هل مازلت مُستيقظًا؟

سمع صوت تعثر وَركض، حتىٰ فُتِحَ باب الغرفة بِقوة لِيظهر دُومي، وَوجهه يملأه مزيج بين العرق وَالدموع، كانت عينيه تلمعان فرحًا مع بريق الدموع المُميز، ثم باغته يحضنه بقوة..

تفاجأ بابا سنجوب، لكنه تدارك الموقف وقف يحدق في ولده الصغير بِفرحٍ مِن مُبادرتِه بِاحتضانِه، رغم أنه كبر كثيرًا، لكنه سوف يظل صغيره، قال بابا سنجوب بِصوتٍ خافت:
_لقد أحضرت حبات الذرة التي تحبها، هيّا بنا.

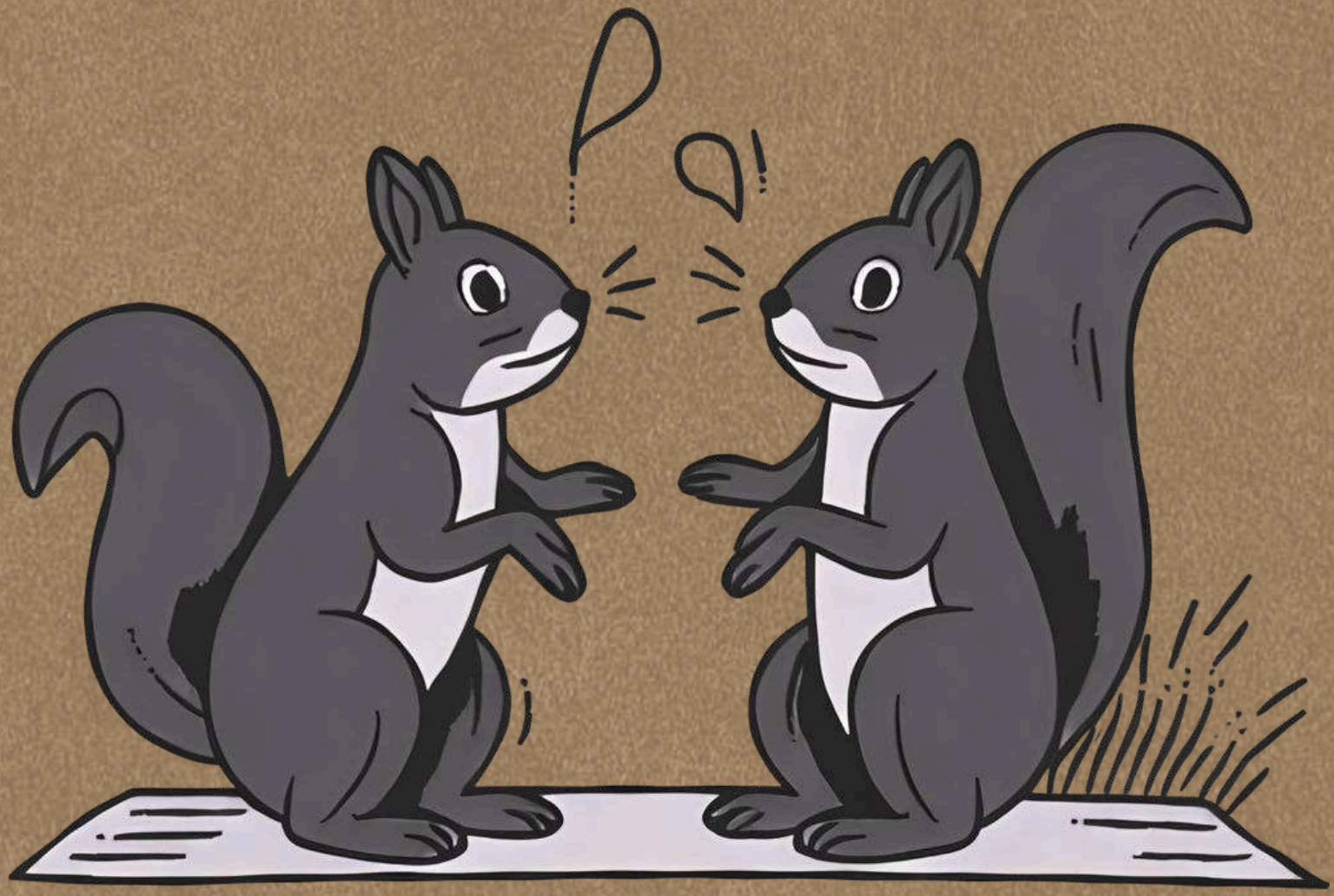
خرج دُومي مِن حُضن والده مُحدقًا فيه طويلًا بِنظرات لم يقدر علىٰ تحليلها بابا سنجوب، ثُمَ أومأ بِرأسِه ماسحًا وجهه بِكُم ملابسه كما الأطفال، فَضحك بابا سنجوب وَهُوَ يشده بِرفق مِن ذراعِه وَيتجه إلىٰ الخارج،

وَخُتِمَ ذاكَ اليوم السيء بِشكلٍ مُبهج أضاف له حسًّا مُختلفًا لم تعهده العائلة مِن قبل...

هل تعلم يا صديقي
أن السنجابة الأم تلد من إثنين إلى سبعة سناجب؟

وتقوم الأم بتربيتهم حتى يصلوا إلى سن عشرة أسابيع.

تحياتي بابا سنجوب.



{الحكاية السابعة}
حُبّوهَمْ...

استيقظت ماما سنجوبة في وقتٍ مُبكر عن موعد استيقاظها، حاولت العودة إلىٰ النوم لكن فشلت جميع محاولتها، استسلمت وَغادرت الفراش ذاهبة إلىٰ المطبخ لِتعِدَ كوبًا مِن القهوة.

شردت قليلًا وَهِيَ تضع حبَّات البُن في الكوب الخاص بها ساكبةً فوقها الماء البارد لِيختلط بِالبُن مُكونين خليطًا يدمج ما بين اللون الذهبيّ وَالبُنيّ، حتىٰ وضعته علىٰ الشُعلة النارية تُراقب ارتفاع الطبقات مُندمجةً في بعضِها بِشرود..

سحبتها أفكارها لِعالم آخر تنغمس داخلها بِقلق علىٰ الجميع، فَالكُل مُنهار وَفقدت القُدرة علىٰ المُساعدة!
مُشتتة، خائفة مِن ضياع كُل شيء؛ فَلم تتوقع يومًا الاستقرار الذي وصلت إليه!

كان حُلمها الدائم، ما تتمناه كُل يومٍ، تكوين أُسرة سوية نفسيًا تنعم بِهدوءٍ، وَلقد نجحت! لكن يؤرق فكرها كُل يومٍ الخَوف مِن فُقدان كُل شيء بنيته..

أجل إنها كثيرة التفكير، وَما ادراك يا صديقي ما الذي يعنيه كثيرة التفكير! فَهِيَ لا تتحدث كثيرًا ليس لأجل كونها هادئة بل كون رأسها يحمل ضجيجَ العالم بِأكملِه داخله!

ظلت تهلك رأسها في التفكير، وَبين كُل فكرةٍ سوداوية تقول في داخلِها "الجميع يغرق في مُحيطي الأسود".
قطع تفكيرها -الذي عُبارة عن تأنيب النَفس وَشعور بِالذنب- علىٰ صوت ابنتها حوري الذي نادت عليها بِصوتٍ خافت:
- أُمّي، أُمّي؟
أخذت ماما سنجوبة نفسًا عميقًا حتىٰ لا يخرج صوتها مُضطربًا، ثُمَ قالت بِهدوء عانت لِاظهاره:
- لِمَ أنتِ مُستيقظة الآن!

سارعت هذهِ الشقية الصغيرة في الرد بِحماسٍ وَنبرة مرحة:
- لقد كُنتُ ارسم، بعد انقطاعٍ طويل يا أُمّي لقد عُدتُ إلىٰ هوايتي مِن جديد.
فرحت ماما سنجوبة بِهذا الخبر بعد اطمئنان جُزء صغير بِداخلها أن الأمور ستصبح بِخير، فَقالت تشجعها:
- إذًا أنني أتشوق لِرؤيتها!

قفزت حوري بِسعادة مُمسكةً كف ماما سنجوبة وَتركض لِلخارج، فَأوقفتها ماما سنجوبة قائلة:
- انتظري لحظة لِأحضر كوب قهوتي، هل تريدين الشوكولاتة الساخنة؟
أومأتُ حُوري علىٰ الفور بِابتسامة واسعة، لِتبدأ ماما سنجوبة في صُنعِها...

*****

ذهبت كُلًا مِن ماما سنجوبة وَحُوري إلىٰ غُرفة المعيشة، وضعت ماما سنجوبة الكوبين علىٰ طاولة صغيرة، بينما تجلس أمام حُوري مُستعدةً لِرؤية ما نسجته ابنتها، ركضت حُوري في كُل جهات الغُرفة تلملم الأوراق مِن هُنا وَهُناك، ثُمَ انتشلت الدفتر -الذي اهداها إليه دومي- تُعانقه إلىٰ صدرِها، توجهت ناحية والدتها التي كانت تتمسك بِكوب القهوة تُدفئ به برودة جسدها، وَبدأت تُقلّب في أوراقه تُريها رسوماتها بِشغف.

بعد القليل مِن الوقت، كانت قد انتهت مِن جميع الرسومات بعدما اطربت آذانها بِثناء والدتها الذي جعل قلبها يتراقص فرحًا وَسعادة، أخذت الدفتر لِتُعيده إلىٰ مكانِه، لكنها توقفت مُتذكرةً شيء، التفت لِوالدتها مُمسكةً بِأطراف ثوبها بِتوتر، مُترددة لِإخراج ما في عقلِها..

نظرت إليها ماما سنجوبة بِتعجُّب تبعه نبرة قلقة:
- حُوري، أنتِ بِخَير؟
قذفت حُوري ما في حلقِها دُفعةً واحدة:
- أُمّي، ماذا يعني.... الحُب؟

فُوجئت ماما سنجوبة؛ فَلم تتوقع هذا السؤال، تراجعت إلىٰ الوراءِ بِظهرِها وَوضعت احدىٰ يداها علىٰ رأسِها بِشكل درامي، تُفكر في جوابٍ مُناسب لا يُحطم أحلام طفلتها التي بِنكهة الرسوم المُتحركة، وَفي نفس الوقت لا تجعل ابنتها تطوف في أحلامِها أكثر!

قالت بعد تفكيرٍ عميق:
- الحُب مسألة مُعقدة، لا توجد اجابة واحدة له، لأنه ليس قرار يُحدده شخص واحد بل شخصين، شريكان تلك العلاقة هُم مَن يُحددان نجاحها أو فشلها!
أخذت نفسًا عميقًا ثُمَ قالت:
- الحُب يا ابنتي العزيزة ليس ما يأتي في الأفلام وَالكُتب، إنهم يزرعون أحلام خاطئة، السنجابان اللذان يُقرران ترك كُل شيء وَالعيش معًا، يجب أن يعلما أنهما سَيُضحيان بِصفاتٍ اعتادوا عليها وَيتحملان عيوب الطرف الآخر، وَالنضج في التفكير، فَالحُب أي بُنيتي ليس كلامًا معسولًا بل أفعالًا تضمن وجودكما معًا لِنهاية المطاف.

لم تُرد ماما سنجوبة أن تقول كلامًا لا يستوعبه عقل الصغيرة، فَحاولت التحدث بِشكل مُبسط:
- الصبرُ مُفتاح النجاح دائمًا حتىٰ في العلاقات، يجب أن نصبر حتىٰ نفهم طريقة تعبير الشخص الآخر وَطرح أفكاره، حتىٰ نقدر أن نندمج سويًا مُكونين أُسرة لا تكون مُجرد عدد ثقيل علىٰ الغابة التي نعيش فيها.

ابتسمت لها تُنهي كلماتها بِغمزة مرحة، ثُمَ رفعت اصبعها السبابة بتأكيد:
- وَتذكري أن الحُب مشاركة، اثنان عاشا طوال أعوامهما في عوالمٍ مُختلفة وَفجأةً! يتشاركان نفس المنزل، نفس الطعام، وَالكثير مِن الحُزن كما يتقاسمان فُتات السعادة!

كانت تستمع حُوري بِانتباه شديد، تستقبل أُذنها كلمات والدتها بِتركيز، تُحاول فهم وَاستيعاب كُل كلمة، وَعيناها تلمعان بِمزيجٍ مِن الأمل:
- هل تتوقعين أن أجد سنجابًا يُكمّل نصفي؟ مثلكِ أنتِ وَأبي!

تنهدت ماما سنجوبة تُربّت علىٰ رأس حوري بِحنان، وَتقول بِحُبٍ وَتأكد:
- لا أعلم ما الذي حضره المُستقبل لِأجلكِ حُلوتي، لكنني مُتأكدة أن هُنالك سنجابًا يتشوق لِمرآكِ الآن، باحثًا عنكِ في كُل مكان، يضمك لِدعواته كُل يومٍ.

فرحت حُوري كثيرًا، لكن هذا لم يمنع فضول صغيرتنا، فَفورًا سألت بِحماس:
- أمّي أرجوكِ، احكي لي كيف كنتما أنتِ وَأبي، أرجووكِ.

بِأعينها السنجابية البريئة كسبت عطف ماما سنجوبة التي حركت يدها بِحركة سينمائية بِمعنىٰ لا مهرب مِن هذا السؤال، ثُمَ أردفت تُشبع فضولها:
- لا أعلم صغيرتي، لا يسعني تذكر موقف مُحدد الآن، لكن أذكر كم أخذنا وقتًا حتىٰ تعودنا علىٰ بعضنا البعض، فَأنتِ تعلمين كم أنا هادئة وَرُغم كُل الحماس الذي يقع داخلي ألا أن الشخص الذي معي دائمًا يظن أنه الأكثر حماسًا.

رجعت ماما سنجوبة بِظهرِها لِلوراء تسنده علىٰ الأريكة، تنهدت مرات مُتتالية، لا تُحب شخصيتها وَلكن لا تستطيع تغييرها، قالت بعد وقتٍ:

- كان بابا سنجوب يدعمني دائمًا، لن أنسىٰ صدماته في تقلباتي المزاجية بعدما تزوجنا، وَلكنه لم يخن وعده لي أبدًا، وَظلَّ صامدًا ينتشلني مِن كُل عقبةٍ.

نظرت إلىٰ حُوري تُكمل:

- هل تذكرين حينما حكىٰ بابا سنجوب أول لقاء لنا؟ قد أعطاني منديلًا وَعندما انتهيتُ مِن مسح وجهي، وجدته يُلوِّح لي بِابتسامة ثُمَ غادر دون كلمة، وَلكنه لم يعلم كَم أحدثت ابتسامته هذهِ موجًا هائجًا في قلبي.

قهقهت ماما سنجوبة بِخفّة مُكملة:

- حتىٰ عاد لِلظهور مرة أُخرىٰ بِالقُرب مِن منزلي، تلاقت أعيننا فرحتُ وَقَلقتُ!

- علم بعدها موقع منزلي وَأصبح يسير في الجوار كثيرًا، أراهُ يضع بُندقًا أمام الباب، وَمرة أُخرىٰ يضع أوراق كتب فيها جُمل تشجيعية، وَكانَ يُراقبني حتىٰ علم أنني لديّ الكثير مِن الهوايات، فَأصبح المُشجع الدائم لي رُغم عدم تحدثنا يومًا.

تنهدت ماما سنجوبة تأخذ أنفاسها قبل أن تسترسل:

- حسنًا لم نكن مُقربين، وَلم نتحدث كثيرًا بل كان حديثنا نادرًا! وَلكن لم انسَ يومًا تقديمه لي يد العَون حينما خارت قواي ساقطةً.

- وَلكن هذا لم يمنع أنه أقام حربًا داخلي، بين جزءٍ يُكذّب حُبه وَجُزء آخر يقول لِلجُزء الأول "هل أنت أحمق؟"

ضحك الاثنان ضحكات عالية بعد هذهِ الكلمة، ثُمَ طافت ماما سنجوبة بين ذكرياتِها:

- ظلت تلك الحرب الصامتة تتفاقم داخلي كُلما عَبَرَ مِن أمامي، اضطرب خوفًا مِن المُستقبل، الحُب شعور رائع، لكن مُخيف لأنه يُمكن أن يكون مُجرد وهم، يُمكن تفسير معنىٰ الحُب في دمج الكلمتين حُبٌ وَوهم "حبّوهم".

- حوري؟

نطقت ماما سنجوبة بينما تنظر إلىٰ حُوري التي تقاوم النوم، ضحكت ثُمَ امسكت يد صغيرتها تشدها بِخفّة نحو سريرها واضعةً قُبلة فوق خدِها تقول بِهمسٍ:

- سيأتي يومًا وَتتذكرين كُل كلمة.

هل تعلم يا صديقي
أنه من "الممكن" يا صديقي وجود لهجات بين السناجب؟
لقد أخبرتك مسبقًا أنها تتواصل عبر الأصوات.
وقد اكتشفوا علماء الحيوان أن الأصوات تختلف حسب المنطقة الجغرافية!

تحياتي بابا سنجوب



{الحِكاية الثامنة}
مُواجهة خواطر دومي.

عاد دومي مِن جامعتِه، جلس صامتًا علىٰ طاولة الطعام حتىٰ انتهىٰ فَذهب لِغُرفتِه بِهدوء كما عادته.
مِن بعيد، راقبته عيون بابا سنجوب بِصمت هادئ يُفكر، حتىٰ عزم أمره مُتنهدًا يذهب وراءه.
طرقة تلتها أُخرىٰ وَلم يُعطِ دومي فرصة لِيُجيب، دخل الغرفة مُغلقًا الباب خلفه، انتفض دومي بِفزع فَسارع في وضع دفتره تحت وسادته بِتوتر،

جلس بابا سنجوب علىٰ آخر السرير، نظر إلىٰ دومي فَبادله الآخر النظر بِتساؤل، تَعلو رأسه علامات الاستفهام.
رفع بابا سنجوب رأسه قليلًا قبل أن يبدأ الحديث، قائلًا:
- لم أتوقع أن أنهار أمامكم، كنتُ أحاول الصمود لكن كما يبدو كنتُ أكتم نفسي داخل ضغطٍ كبير.

دُهِشَ دومي مِنِ الحديث، لم يعلم لماذا يدور هذا الحوار، تقابلت أعينهم فَابتسم بابا سنجوب ابتسامة هادئة، ثم أشار إلىٰ الوسادة، يردف:
- ماذا تكتب؟
تردد دومي، ظلّت عينيه تبحثان عن مهرب في كُل مكان، لكن كُلما حاول تغيير الموضوع رأىٰ الاصرار في عينين والده، توتر أكثر لكنه في النهاية استسلم:
- بعض الخواطر فقط.....

=حقًا!
هل يمكنني قرائتها؟

تنهد دومي بِقلة حيلة، ينتشل دفتره مِن تحت الوسادة مُعطيًا اياه لِوالدِه، وجَّه رأسه إلىٰ الاتجاه المُعاكس يتصبب منه قطرات العرق بِتوتر.

أمّا بابا سنجوب، فَقلَّبَ بين الصفحاتِ بِعشوائية يقرأ داخله:

"كانت ليلة، مثل أي ليلة تحاصرني الأحزان من كل اتجاه، نفس الأحزان التي اتخطاها دائمًا لا شيء جديد...
ماذا جَدَّ إذًا؟ لا أدري.

انقلب حالي رأسًا على عقب، التهمني اكتئابي كوجبة دسمة لذيذة.
وجدت جسدي يطفو في منتصف محيطٍ أسود، يحاول ألا يغرق حتى أرهقته المحاولة، مستسلمًا للوحش الذي بداخله.

وكيف لا يستسلم مريضٌ ارتدى طوال حياته قناع السعادة ومن داخله ينهش وَحّشُه كل جزءٍ من جسده، غير مدرك أن هذا سوف يوصله لهذه النقطة يومًا ما."

ابتلع بابا سنجوب غصته مُتماسكًا أمام ولده، يقرأ صفحة أخرى:

"مريضٌ هو، يقف منعزلًا داخل عالمه الخاص.
عالمه الذي كان بالمرتبة الأولى في التفاؤل؛ لكن الآن
'أصبح عالمًا سوداويًا مشوهًا'

من يقترب منه خطوة، يجد نفسه غارقًا في محيطٍ أسود يبتلع
كل من يقترب منه؛
والذي يغرق فيه المريض كل يوم.....حتى أعتاد الغرق."

وضع بابا سنجوب يده علىٰ فمِه، ولده مُصاب بِاكتئابٍ وَهذهِ الخواطِر دليلٌ قاطِع! لكن.. لكن ما السبب! هل أخطأ في أسلوبه التربويّ يومًا! فتح صفحةً أُخرىٰ بِمرارة.

"سلامًا على عقلٍ لا يرحم.
وقلبٍ يعتقد أن مهمته أن يؤلم صاحبه
وروحٍ ملّت وتريد الإنفصال عن الجسد.

فماذا يفعل سنجابٌ مسكين.
بين قوصين (ضعيف).

أليس من المفترض أن يكون همه الوحيد البحث عن ما يأكله؟.
فلماذا يحمل همًا أكبر من حجمه؟.
ويظل يركض في دائرة، باحثًا عن ملاذٍ يحميه، لكنه لا يأتي."

ابتسم بابا سنجوب -رغم الألم الذي يعتصر قلبه- وضع يده علىٰ كتف دومي، قائلًا مُشجعًا له:
- رائع! أنت ماهرٌ يا دومي، وصف الكلمات اعجبني!
هل... جربت أن تنشر إحدى هذه الخواطر؟
تعجب دومي مِن عدم تعليق بابا سنجوب علىٰ خواطرِه التي تملأها الكآبة، لكنه أجاب بعد مهلةٍ مِن الوقت:
_لا، أراها سيئة لستُ بارعًا في الكتابة كي أنشرها.

اجابته كانت هادئة لا تحمل أي شعور، لكنه كان يصبّ تركيزه بِأكملِه علىٰ ردود فعل والده،
نظر له بابا سنجوب بِاستنكار يتمتم مُعترضًا:
_رؤياك خاطئة، مَن منّا لا يتعلم، استمر وَحاول قد تكون مُخطئًا، أم تشك في حديث والدك!

وضع بابا سنجوب يده علىٰ قلبِه وَهُوَ يُمثِّل الصدمة بِدرامية، ابتسم دومي قائلًا:
_أبدًا يا أبي، أنت لا تُجاملني... علىٰ ما أعتقد.

صمت كلاهما، فَقرر بابا سنجوب ترك مساحة كافية لِشبله لِلتحدث، أمّا عن دومي فَكادَ أن يتحدث أكثر مِن مرةٍ، وَكُل مرة يذوب الحديث مِن بين شفتيه حتىٰ تجمّعت الدموع بين عينيه، المشاعر المُضطربة تطغىٰ عليه، داخله ينقلب رأسًا علىٰ عقب، وَلا توجد كلمات تصف ما يقع داخله!

كان كتمانه كَالبُركانِ الثائر الذي انتظر طويلًا شُعلة لِينفجر، ابتلع ريقه يتصبّب عرقًا وَالحروف تتطاير مِن بين شفتيه، ارتجف جسده وَالحرارة تندفع فيه بِسُرعةٍ مهولة حتىٰ انفجر بُركانه هائجًا، دموعه تتسابق لِلنزول بِشفقة علىٰ نفسِه...

صُدِمَ بابا سنجوب، ارتبك لِدقائق ثم بادر بِضَم دومي بين ذراعيه، يربّت مرة علىٰ ظهرِه وَمرة رأسه، يقول مُهدئًا اياه:
_ستكون بخير، أخرج كل ما بِداخلك، خذ أنفاسك، هل هناك زجاجة ماء هُنَا؟
اهدأ يا صغيري اهدأ!

الوقت مرَّ سريعًا لكنه لم يُبعد دُومي عن مَوضع قلبه، يُهدئه كَطفل حديث الولادة مُنفصلين عن العالم، فقط هُما..

بعدما هدأ دومي قليلًا أخذ يشرب الماء لِيستطيع التحدث، تأمله بابا سنجوب بِمزيجٍ من المشاعر بين راحة لِإخراج هذا الكَم الذي كتمه داخله لِوقت لا يعلمه، وَمِن ناحية أخرىٰ حُزن علىٰ ولده الصغير الذي كبر وَقد حارب وحده ضغط الحياة، ودَّ ألّا يأتي مُتأخرًا... لكنه بِالفعل تأخر.

أعطىٰ بابا سنجوب الدفتر إلىٰ دومي قائلًا بهدوء وَابتسامة:
_هل تود أن تكتب؟
نظر دومي إلىٰ أعيُنِ والده بِامتنان حقيقيّ، ثم أومأ بِرأسِه يأخذ الدفتر مُنتشلًا قلمًا ثُمَ شرع في تدوين ما يجول بِخاطرِه..

ظلَّ عدة دقائق يكتب حتىٰ انتهىٰ يمدُّ يده بِالدفتر إلىٰ بابا سنجوب بِصمت، أخذ بابا سنجوب الدفتر بِدوره وبدأ في القراءة، مُلاحظًا أن الكلمات عشوائية بعض الشيء.

"تائه، لا أعلم إلى أين أنتمي،
ظللتُ أبحث مرارًا عن مكانٍ أشعر بِهِ أنني (أنا)
لم أعلم ما بي، لكنني مُتعب، طاقتي لا تتعدىٰ الواحد بِالمئة،
فقدتُ حيويتي، وَروحي، وَكُل شيء،
أعلم ما بي ولا أعلم بِنفس الوقت،
أشعر أنني مُضطرب، عقلي لا يصمت، وقلبي لا يهدأ، أعتذر لِجعلك تقلق."

هربت بعض الدموع مِن أعين بابا سنجوب، وَرغم حصيلته اللغوية الذي جمعها سنوات عُمره هربت الكلمات مِن بين شفتيه، وَلم يسعه سِوىٰ ضم ولده بين ذراعيه ثانيةً مُرددًا عدة مرات:
_ستكون بخير، ستتحسن، صدقني، لن أدعك تغرق في ظلام الاكتئاب.

من الاتجاه الآخر، ابتسم دومي ابتسامة باهتة، رغم ذلك شعر بِراحة كبيرة تملأ قلبه، وَعلم حينها أنه ليس بِمُفردِه كما كان يظن...

هل تعلم يا صديقي
أن السناجب تكذب؟ أو بمعنى آخر تخدع؟
عندما تشعر بوجود من يراقبها، تخفي مخزونها في حفر وهمية ثم تذهب وتدفنها في مكان آخر!

تحياتي بابا سنجوب



{الحِكاية التاسعة}
علىٰ ضفةِ النهر.

"لم أكن أُمًا جيدة! لم أستطع انقاذه، كيف... كيف لم انتبه لِحالتِه! "

مِن داخل عقل ماما سنجوبة، يغلبها صراعها بين العقلِ وَالقلب، وَنكتشف أن الاثنان ضدها مِن الأساس، فَبدأ يضيقُ عليها الخِناق، تائهة هِيَ بين العواصف التي تقع داخلها..

جلست علىٰ ضفة نهر الغابة بين الأعشاب الخضراء وَبُستان الزهور الذي يُحيط بِها مُنكمشةً علىٰ نفسِها، تسند ذراعيها علىٰ ركبتيها، تغوص بين أفكارِها بينما تُلامس قطرات المياه بِلطافة أطرافها.. لطافة افتقدها داخلها!

قاطع خُلوتها الكئيبة يدان تحجبان الرؤية عن عينيها يليه ظهور صوت تألفه آذانها يقول بِمرح:
- مَن أكون؟

ابتسمت ماما سنجوبة وَهِيَ تلتفت بِرأسِها قائلةً بِصوت هادئ تلاشت منه السعادة:
- لومي! ماذا تفعلين هُنا؟ يالَصُدفة لم نلتقِ مُنذ فترة!

جلست المدعوة لومي وَالتي هِيَ بومة مُتوسطة الحجم، تتميّز بِلونِها الأبيض الذي يتداخل فيه بعض الريش الأسود، ذات أعيُن ذهبية لطيفة تُزينها نظارة صغيرة وُضِعت علىٰ مُنقارِها الأصفر،

سكتت قليلًا تتأمَّل السماء التي يظهر انعكاسها فوق النَّهر الذي يبعث الراحة في الأنفس:
- لقد كُنتُ أُحلق في الجو وَلمحتكِ جالسة، فَقلتُ يجب أن أراكِ فَلم نرَ بعضنا مُنذ الجامعة علىٰ ما أعتقد!

أومأت ماما سنجوبة بِحنين إلىٰ تلك الذكريات، صمت الاثنتان مُفتونتان بِالمظهر البديع، مُحترمينٍ حُرمة هدوء المكان، حتىٰ قطعت ماما سنجوبة ذلك مُسترجعة بعض المواقف القديمة:
- أتذكر عندما كُنتِ تمرّين بي في الجامعة، ثُمَ نذهب لِلتنزُّه بِالقُرب مِن هذا المكان، وَنركض بِحُرية حينَ نجد المكان خالي مِن الحيوانات.

أشرقت ملامح لومي في حينَ أن ماما سنجوبة ابتسمت ابتسامة باهتة، تلك الدمعة التائهة بين عينيها لاحظتها لومي التي تساءلت:
- مآذا هُناك، ما بكِ!

أغرقتها بِالأسئلة واحدًا تلو الآخر وَلم تُعطِ لها مجالًا حتىٰ لِتُجيب، حركت ماما سنجوبة يدها سريعًا أمامها لِتُهدئها قائلة:
- اهدئي! لم يحدث شيئًا، أنا بخير.

صمتت مرة أُخرىٰ وَأشاحت بِنظرِها نحو النَّهر، تُردف وَالحروف تخرج مِن فمِها بِصعوبة وَتلعثم، يشرخ كُل حرفٍ قلبها:
- دُومي ليس بخير وَلم أُلاحظ هذا مِن البداية، رأيته يسقط وَلم أمد يدي لِيقف.. إنه يكرهني الآن بِالطبع!

تسابقت الدموع فوق وجنتيها لكن ظلَّ وجهها ساكنًا، كَعاصفة اختبأت خلف قناع البرود..

شعرت لومي بِالأسىٰ عليها، فَهِيَ تعلم كَم عانت ماما سنجوبة وَوجدت نفسها بعد ضياعٍ لوقتٍ طويل، وَرغم مُحاولة تخطيها لِهذهِ الفترة لكنها ظلّت حبيسة داخلها تُعاني منها دومًا..

اعتدلت لومي في جلستِها تجعل جسدها أمام ماما سنجوبة مُباشرةً، قبضت وجهها غاضبة ثُمَ قالت بِاعتراض:
- أنتِ لستِ مُجرد أُم تقلق علىٰ ولدِها، أنتِ سنجابة مرّت بِتجارب كثيرة أغلبها صعبة، لا تنسي مَن تكوني! لقد كُنتِ غارقةً مثله وَوجدتِ طريق الخروج أليس كذلك؟ هُوَ ايضًا سيجد تلك البوابة وَستكون مفتوحة علىٰ مصرعيها لِأجله!

جفَّ حلق لومي، لكن أكملت بِهمس وَهِيَ تُمعن النظر لِماما سنجوبة:
- أعلم أن ما زال جُزء داخلك لم يتعافَ، وَلكن ذلك الجُزء هُوَ ما جعلك مُميزةً! أليس كذلك؟

عمَّ الصمت قبل أن يخترقه شهقات مُتتالية مِن ماما سنجوبة مُمتزج بِأنين وَألم صامت، الدموع تنهمر علىٰ وجنتيها، وضعت كفها علىٰ موضعِ قلبها وَهِيَ تُتمتم بِبعضِ الكلمات التي تدور بِرأسِها:
- لا أُريده أن يُصبح... مثلي!

كررت هذهِ الجُملة بِهستيرية، حتىٰ هدأت نوبتها تُكمّل انهيارها بِشكل صامت، أدارت لومي رأسها تُخفي دموعها التي هربت مِن عينيها قبل أن تلتفت مرةً أُخرىٰ تضمُّ ماما سنجوبة إلىٰ صدرِها تقول بِتوسل وَصوت مُرتجف قليلًا:
- اهدئي يا سنجوبة، استرجعي أنفاسك!

تراجعت قليلًا تتحدث:
- ليس لأنه يمُّر بِتُجربةٍ شبيهة لِتجربتك سيُصبح مثلك! حسنًا يُشبهك، لكن طريقتكما في التعبير مُختلفة، لا يُعاد نفس المصير مرتين!

نظرت لها قبل أن تُكمل بِصوتٍ حنون مُربّتة علىٰ ظهرِها:
- هل تعتقدين أن جلوسكِ هُنا وَتأملكِ تاركةً نفسكِ تغرقين مرة أُخرىٰ هُوَ الحل! يجب أن تذهبي وَتظلّي بِجانبه! لِمَ أنتِ هُنا الآن!

وقفت لومي وَهِيَ تُمسك يد ماما سنجوبة تسحبها خلفها تقول بِحزم:
- هيّا قفي وَاذهبي إلىٰ ولدكِ، سُدّي فراغ احتياجه لكِ!

تمالكت ماما سنجوبة نفسها بِالفعل تُحاول الوقوف، نظرت إلىٰ لومي وَعيناها ما زالت تنهمرُ بِالدموع، شفتاها ترتجفُّ رجفة الطفل حديث الولادة، بادرت بِاحتضان لومي فَانهار الاثنان مِن البُكاء، وَعندما هدأت الأجواء، طارت لومي مُلوَّحةً لِماما سنجوبة بِجناحِها، بينما ماما سنجوبة ذهبت لِمنزِلِها.. حيث مَن في حاجتِها هُناك.

*****

حَلَّ الليل علىٰ منزل الشجرة، سارت ماما سنجوبة بين الغرف قبل أن تصل إلىٰ وجهتِها الأساسية، رفعت يدها بِتوتر كادت أن تطرق الباب لكن تراجعت، حاولت تكوين جُمل مُفيدة تقدر علىٰ قولِها بعد دخولها، وقفت خمس دقائق حتىٰ استجمعت قوتها مجددًا، وَحينَ ارتفع كفها لِيطرق الباب مُجددًا صدر صوت صرير الباب يُعلن خروج أحدهم...

فُتِحَ الباب يطل منه دومي، كان ذاهبًا لِيحضر بعض الماء، رفع رأسه لِيُفاجأ بِوجود والدته، ابتلع ريقه بِتوتر يُحاول أن يعلم ما سبب وقوفها في هذهِ الساعة!
أخرج صوته بعد صمتٍ طال، تبادلا النظرات ثُمَ همس مُستفسرًا:

_ماذا هناك؟

أجابت ماما سنجوبة بِصوتٍ هادئ في مُحاولةٍ بائسة لِإظهار قوتها في كلماتِها:

_كُنت أُريد.. أن أتحدث معك، إن.. شئت بِالطبع.

أومأ دومي، يفتح الباب لها بِهدوء، تقدمت ماما سنجوبة بِخطواتٍ ثقيلة، تأملت الغرفة قبل أن يقع نظرها علىٰ دومي، ابتسمت عندما تقابلت أعينهما، وَحينَ هذا اللقاء لم تتماسك أكثر تنفجر دموعها بِغزارة، هذا الذي أقلق دومي الذي تقدم تجاهها:

- أمّي ماذا هُـ..

وَقبل أن يتدارك الموقف ضمَّته ماما سنجوبة إلىٰ صدرِها، تجمَّد قليلًا قبل أن يستسلم وَيُبادلها العِناق مُسندًا رأسه علىٰ كتفيها يستشعر حنانها وَالدفء الذي ينبعث منها، همست بِصوتٍ خافت:

- آسفة دومي، لقد تأخرتُ، وَلكن الآن.. لا خوف بعد اليَوم..

هل تعلم يا صديقي
أن هناك تبني عند السناجب؟
فلو فقد سنجاب صغير والدته.
وفقدت سنجابة أم أولادها.
وكانا قريبين من بعضهما، فالأم تتبنى السنجاب الصغير.

لكنها حالة نادرة جدًا.

تحياتي بابا سنجوب



{الحِكاية العاشرة}
متجر الحلوىٰ.

بين أرفف الحلوىٰ في متجرٍ صَغير في نهاية طريق الغابة، نرىٰ رأس سنجابة صغيرة تَدور حَول نفسها، تشرد فى شىءٍ ما..
قد تظن مِن النظرة الأولىٰ أنها مُترددة بين أنواع الكعك اللذيذة التي أمامها؛ وَمَن يستطيعُ أن يُقاوِم الكعك المُغطَّىٰ بِالشوكولاتة؟ أو التي بِجانبها يُزينها بعض مِن البُندق وَالفُستق!

وَلكن النظرة الأولىٰ -يا عزيزي- خاطئة، لأن السنجابة هذهِ تكون حُوري!

وَحُورى لا تحتار فى اختيار الحلوىٰ، بل تغوصُ بين فضولِها كَأى طفل، عقلها يبحث عن الاجابة، لكن اجابة ماذا؟

قاطع شرودها صوت قريب لِلآذان وَلكن لِعقلِها كان بعيد:
- حوري! هل هذهِ أنتِ؟

خرج السؤال مِن سنجابة شابة ترتدي ملابس عليها شِعار المَتجر وَبِجانبه اسمها "شيري"، صَوتها كانَ ناعمًا، وَيلمعُ في خُصلات شَعرها مشبك علىٰ شكلِ حبة كرز، ظهرت مِن خلف الأرفف بِهدوء، ابتسمت حينما رأت حُوري بِوجهِ بشوش:
- كُنتُ مُتأكدة أنها أنتِ.

اكملت بِحماس وَهِيَ تُشيرُ إلىٰ مَخزن المَتجر:
- لقت احضرتُ البارحة الكعك المُفضل لكِ، وَهُنالك قطعة تنتظر شراءك لها.

انهت كلماتها بِغمزة مرحة، بينما حُوري أومأت بِحماس وَلكن ما زال الشرود يُسيطر عليها، وَسُرعان ما عادت شيرى تَحمل بين يديها قطعة حلوىٰ وَالتي كانت مصنوعة علىٰ شَكل بُندق، أخذت حُوري الكعكة بِصمت وَكادت أن تَذهب وَلكن أوقفها صَوت شيري الهادئ:
- هل أنتِ بِخَير؟

التفتت حُوري تُفكر، هل تُخبرها أم لا، حتىٰ عزمت أمرها تنطق:
- حسنًا، هُناك شيئًا يشغل تفكيري لا افهمه!

= ما هُوَ! اخبريني يُمكن أن يكون لي علمًا بِالاجابة.

حدقت حُوري في وجه شيري بِتردد، فركت يديها في ثوبِها في علامةٍ تَدل علىٰ توترِها، تعلم أنها صَغيرة وَمِن الغَريب أن تُفكر بِشيءٍ مثل هذا! لكنها في آخر المطاف همست بِبعض الكلمات التي لم تصل لِآذانِ شيري؛ مِمّا جعلها تحثها علىٰ رَفعِ صَوتها كي تسمع.

اوضحت حُوري صوتها مُترددةً:
- قلتُ أنني.. لقد تُوفيَ والد صديقتي وَكانت حزينة جدًا، مِمّا جعلني أُفكر في المَوت!

صمتت قبل أن تُكمل، تُحاول أن تتعمّق داخل مشاعرها المُضطربة، تُخرج كُل ما يشغل عَقلها:
- ما الطريقة الصحيحة لِلحُزن؟ وَهُل هُناك مُدة له! وَكيف نتخطاه؟

تجمدت شيري في مكانِها، توقعت كُل شيء بِاستثناء هذا، كيف يخطر علىٰ بال طفلة هذهِ الأفكار! تأملت وجه حُوري بِدهشة، تُحاول معرفة هل هِيَ بِخَير حقًا أم لا!

انحنت لِتُصبح في مثلِ طولها، ثم تنفست قبل أن تُجيب؛
- لم اتوقع حقًا هذا السؤال، لكن أتعلمين! كُنتُ أفكر أيضًا في الأشياء التي تحدث بعد المَوت.

وضعت يدها خلف رأسِها، نظرت لِحُوري مُجددًا بِهدوء ثُمَ اكملت:
- سَوف أشارك معكِ رأيي في هذا الموضوع، إنه مُجرد تفسير بسيط لكنه جاء بعد تفكيرٍ كبير.

فركت رأسها تنظر إلىٰ السقف، وَهِيَ تبدأ في شرح رأيها لِلطفلة الصغيرة:
- مِن رأيي أنه ذو وجهان؛ فَالمَوتُ راحة بِالنسبة لِلميت وَعذابٌ لِمَن يحبونه! لأنهم يحزنون بِسبب فراقه وَليس فراق الحياة.

اخذت نفسًا قبل أن تسترسل في الحديث:
- فَلو كان شخصًا عزيزًا عليهم، يصعب عليهم العَيش مِن بعده، فَمُحاولة تناسي فقدانه تنهار حينما تأتي ذكرياته بعدها! فَمثلًا عندما تُوفيت والدتي، ظللتُ وقتًا طويلًا اتذكر مذاق كعكتي المُفضلة التي تُعدّها خصيصًا مِن اجلي، تخطيت هذا بِالطبع! لكنّي ما زلت افتقدها بين الحين وَالآخر.

شردت حُوري في حديث شيري تُفكر في أُسرتها، إن اختفوا عن هذهِ الحياة ستختفي معهم أبسط الأفعال التي كانوا يقدمونها وَيبقىٰ الأثر فقط!

فَبابا سنجوب حينَ يستيقظ لِيروي عطشه كُل ليلةٍ، يدخل لِكُل غُرفة لِيطمئن عليهم رغم معرفته التامّة أنهم موجودون بِخَيرٍ وَسلامة.. وَلكن ماذا إن لم يعودوا موجودين!

وَماما سنجوبة! تسألها كُل يومٍ عن حالِها عندما تعود مِن المدرسة، رغم غرقها بين صحون الطعام التي تُحضرها،

وَدُومي الذي يعتقد أنها لا تُلاحظ سيره خلفها هِيَ وَآسري حينَ ذهابهما لِلمدرسة،

وَتوأمها اللطيف العالِم بِشعورها بِالدوار سريعًا؛ فَاصبح يحمل دائمًا في جيبه قطعة حلوىٰ صغيرة في حال شعرت بِالتعب!

قالت داخلها بِخفوت: "كم سأفتقد هذا إن رحلوا!"

انتبهت حينما عادت شيري مُجددًا لِلحديث فَاصغت إليها:
- بعد وفاة والدتي، احترتُ بين العودة لِحياتي السابقة أم أحبس نفسي في وحدتي التي لا نهاية لها! فَتوصلت ألّا يوجد طريقة لِلتخطّي، بل نحنُ نتعايش فَحسب، وَعندما اتذكرُ أي شيء يخصها اذهب لِغُرفتي أُفرغ طاقة همّي وَأعودُ مُبتسمة مُجددًا.

ابتسمت شيري وَقد بدأ بريق الدموع يلمع في عينيها، ابتلعت ريقها ثُردف:
- التكيف مع موت شخصٍ عزيز يتشابه مع المُعادلة، ليس لها اجابةً واحدة، وَرغم اختلاف الخطوات الأهم أن نصل جميعنا لِنفس الرقم الأخير "عدم الغَرق داخل الحُزن".

أنهت كلماتها وَابتسامة صغيرة تُزين مَبسمها، ربّتت علىٰ رأس حُوري تختتم حديثها:
- هذا فقط، أتمنىٰ أن تجدي مُرادكِ بين كلماتي.

لم تنطق حُوري، بل اندفعت نحو شيري تُعانقها في حركةٍ مُفاجئة لها لكنها سُرعان ما تفاعلت تُبادلها العناق، همست حُوري بِخفوتٍ:
- أشكركِ حقًا.

قهقهت شيري بِخفّة، وَشعور الرضا يتسرّب إلىٰ دواخلها، رغم أنه كان نقاش خاضته مع طفلةٍ صغيرة لكن قيمة لِلغاية بِالنسبة لها، تحدثت وَابتسامتها لم تتلاشَ بعد:

- هيّا سوف أضع الكعكة في حقيبتك، كفىٰ تأخرًا حتىٰ لا تقلق والدتُكِ.

كان هذا خِتامًا لحديثهما، ثم عادت حُوري إلىٰ المَنزل رفقة شيء أكثر حلاوةً مِن الكعكة، لم تعد تفكر كيف ستتعايش إن رحلوا، بل قررت صُنع الذكريات التي ستُعطيها المقدرة علىٰ التعايش.

- يا رِفااق، لقد عُدتُ وَجلبتُ معي كعكةً لذيذة، مَن لن يأتي ستفوته مُتعةً كبيرة.

هل تعلم يا صديقي
أن برغم ذاكرة السناجب القوية، إلا أنها تنسى بعض أماكن مخزونها!
ولكن من ناحية أخرى هذا يفيد الغابة، فالمكسرات المنسية تنمو لتصبح أشجار أخرى مليئة بالثمار اللذيذة.

تحياتي بابا سنجوب



{الحِكايةِ الحادية عشر}
حِكايةٌ لا أحد يراها.

في أكثر الغرف ظلامًا بِمنزل الشجرة، يُحيطها هالة حزينة.. نعم يا صديقي أقصد غرفة دومى.
في مُنتصفِ الليل، نجده جالسًا علىٰ مكتبِه وَأمامه مجموعة كبيرة مِن الأوراق، وَقلم وحيدٌ بائس، عيناه تتنقل بين الهاتف وَالاوراق مِن الثانية لِلأُخرىٰ،

تنهد تنهيدة عالية يرفع رأسه عاليًا، يغزو العرق وجهه، نظرةٌ واحدة تُلقيها عليه لِتجزم أنه مُضطرب.

جلس شاردًا لِساعات التفكير يُرهق عقله، تأفف بِصوتٍ عالي يحرك رأسه عدة مرات بِهستيرية مُرددًا كلمة واحدة "لماذا؟"

فعل هذا العبث لِلحظاتٍ، ثم تمالك نفسه مُجددًا يُحدّق في الهاتف بِعيونٍ باهتة، يتصفح أحد المواقع وَمُراده الوحيد تشتيت نفسه، كأنَّ عقله جلاد يهوىٰ الفتك بِضحاياه!

كان يتصفح دون قراءة شيء فقط يحرك اصبعه علىٰ الشاشة دون هدف، حتىٰ صادفه منشورًا لمحته عيناه سريعًا:

"لا تُزيف ما تشعر به، أنت لست بِرجلٍ آليّ،
كُن كما أنت، أخبرهم بِما داخلك."

وضع صاحب المنشور صورة تحته مُصممة بِالذكاء الاصطناعيّ، سنجابٌ يفتح فمه صارخًا وَرُسِمَ خارج فمه كلمات عشوائية تدل علىٰ عقله المُشوش نتيجة الكتمان،
شعر دومي أنه مُوجه إليه، اتسعت حدقة عينيه كأنَّه قرصانًا وجد الكنز الذي كان يبحث عنه مُنذ سنوات..
ترك الهاتف سريعًا، ينتشل القلم مِن فوق المنضدة ينغمسُ في الكتابة:

"مرحبًا،
أنا دومي سنجوب، في هذا المشروع أودُّ أن أُناقش مرض لا يهتم به أحد.. "الاكتئاب"،

ولا اقصد بِذلك الحُزن الذي يأتيك حينَ تخسر في لُعبةٍ ما أو يصرخ فيك والدك.. بل ذاك الحُزن الذي يُغلّف القلب علىٰ هيئة قاتل صامت".

أخذ نفسًا عميقًا يُكمل:

"أنا دومي سنجوب، مريضٌ بالإكتئاب، لم يُشخصني الطب بل شخصنى الألم الذى طغىٰ علىٰ قلبى..

جئتُ اليوم لِأحكي ما يحدث معي، وَلِأخرج ما يخنق أنفاسي كُل يومٍ، البعض لن يفهمني، وَلكن يُمكن ان يُفيد هذا قلّة قليلة..

اصبحتُ جسد سنجاب فارغ مِن كُل شيء، تملكني الحُزن كما ضيّق علىٰ قلبي الحياة، تأتيني نوبات هلع داخلية وَالذي أقصده بِداخليةٍ أنه لا يعلم بها أحد غَيري.. حتىٰ إن كان أمامي مُباشرةً."

توقف قليلًا يُجمّع أفكاره ثم أكمل:

"تبدأ النوبات عادةً بِثُقلٍ في جسدك، تبدأ مِن خلايا عقلك حتىٰ تصل إلىٰ أصابع قدمك، تشل جسدك عن الحركة، ثم تصعب علىٰ رئتيك التنفس، وَتخدش قلبك بِسكاكينٍ حادّة،
تشعر أنك تريد البُكاء، لكنَّ حتىٰ عيناك تأبىٰ الانصياع لِأمرك، وَرغم كُل هذا.. لا يرىٰ أحد ما يقع داخلك."

بدأ دومي يشعر بِتلك الحُرقة تسري في قلبه مُجددًا تُطالبه بِالتوقف، لكنه أبىٰ الصمت:

"وَأحيانًا الألم النفسي يصطحب الألم الجسدي، تشعر بِحرارةٍ فوق جبينك تظنُّ أنها حُمىٰ لكنك تُفاجئ أن حرارة تفكيرك انتقلت لِرأسك،
تشعر أن عضلات جسدك كُلها مُتعبة، تطلب الراحة، تجد في كُل مرةٍ أن النوم مهرب مِن كُل هذا الألم!

حينَ تضع لقمةً في حلقك تشعر بِمرارتِها أكثر مِن حلاوتها، وَلن تمر أكثر مِن خمس دقائق لِتستفرغ كُل ما مرَّ مِن جدارِ معدتك".

تذكر أنه يجب أن يقول سبب كُل هذا، فكَّر قليلًا ثم ضغط علىٰ حبرِ قلمه يُكمل:

"إن تساءلت ما السبب.. فَلا أدري!
فجأةً وجدتُ نفسي أغرق في مُحيطٍ كساه السواد، كُل يومٍ أخوض صراع مع نفسي في مُحاولةٍ بائسة مني لِأعود لِلِيابس مرةً أُخرىٰ،

في بعض الأحيان أطفو فوق سطح هذا المُحيط، أتأملُ النجوم اللامعة وَأنا اتساءل:

"هل يومًا سيُلقىٰ إليّ حبلًا ينتشلني مِن كُل هذا؟
هل سَتُضيء تلك النجوم عُتمتي يومًا!
هل ستعودُ نفسي إليّ!"

لا أعلم هل سيصدقني أحدكم أم لا، لكنني أظن أنني فقدتُ القدرة علىٰ الشعور، كأنّي أُحاكي فقط كيف كنت أشعر، وَبِالرَغم مِن ازدحام عقلي فَهُوَ خالي مِن أي شيء يدعوك لِلعيش،

أصبحت سعادتي مؤقتة، وَتمثيلي أصبح رديئًا، انتبّه الجميع لي لكن لم يفهمني أحد، مِن بعيد كُنتُ الشخص المرح اللطيف، لكن عندما يتقربون يعلمون أنني لا أُطاق، فَمَن يستطيع أن يتحمل سنجاب بائس مثلي! أنا أُشبه شفيق الذي في الرسوم المتحركة التي يُتابعها أسري وحوري!

لم أكن أتوقع يومًا أن الأمواج ستبتلعني أنا، كنتُ كَمثل شَمس الصباح المُبتهجة، فَما بالي احالني العالم إلىٰ ليلٍ كساه السواد!

سقطتُ يومًا في مُستنقعِ الآراء، آذاني أصغت -لِلأسف- لِكلام السناجب عنّي ثم... شوهني المُجتمع، كُنت ساذجًا لِدرجة الانصياع لِأوامرهم حتىٰ غرقت في قذاراتهم!

لكن.. لن أُحاول صُنع أحد غَيري بعد الآن، سأُحافظ علىٰ ما تبقىٰ منّي..

هذا فقط، أتمنىٰ لكم يومًا لطيفًا،

دُومي سنجوب".

ترك دومي القلم وَقد كان مظهره غير مُطمئن، لم يكن وجهه الذي يكسوه العرق فقط بل جسده كله، شعره ينسدل فوق عينيه معه بعض قطرات الماء،

وَرغم ذلك، ابتسامة زينت وجهه تُعلن البداية..

بداية خروجه مِن ذاك المُحيط، لن يترك نفسه في القاع مُجددًا.

وقف دومي قبل أن يتجه لِلفراش، يسقط فوقه مُغمضًا عينيه، ثم غرق في سُباتٍ عميق،

داخل حُلمه، نرىٰ دومي يغرق في المُحيط بِاختلاف أنه يصرخ بِأعلىٰ صوته، لِيظهر ظلًّا مِن بعيد يقترب رويدًا رويدًا حتىٰ يظهر أنه بابا سنجوب،

ألقىٰ نحوه حبلًا تمسك به دومي جيدًا، وَكانت هذهِ بداية انقاذ سنجاب رغم أنه كبير ألا أن يوجد طفل مُحطم داخله،

رُبما لم يستيقظ بعد، لكنه لم يعد يغرق بِمُفردِه..

هل تعلم يا صديقي
أن أسنان السنجاب الأمامية لا تتوقف عن النمو طوال حياته؟

وبسبب هذا تجده يأكل الكثير من المكسرات أو قشور الشجر لكي لا تطول أسنانه بشكل يؤذيه.

ومن الناحية الإيجابية تصبح أسنانه قوية وقادرة على كسر أقوى أنواع المكسرات.

تحياتي بابا سنجوب



{الحِكاية الثانية عشر}
خِتامٌ بِطعم البسكويت.

كان منزل الشجرة مُنيرًا بِأنوارِه الدافئة، وسط أصوات المطر وَنسمة الهواء الباردة التي تدل علىٰ قدومِ فصل الشتاء.

يجلس الجميع -بِاستثناء بابا سنجوب- علىٰ الأريكة وَالكراسي، وهُناك أكواب عديدة علىٰ الطاولة الصغيرة.
كانوا يتحدثون وَيضحكون.. لحظة! وَكانَ دومي معهم!

إنه يتفاعل مع اخوته وَوالدته بِشكلٍ طبيعيّ ضاحكًا معهم، يا اللّٰه! لقد نجحَ دُومي في التعافي!

قاطع هذهِ الأمسية الرائعة صَوت طرقات مُتتالية قوية، تعجب الجميع، فَوقف دومي وَذهب فاتحًا الباب، لِيدخل بابا سنجوب مُبتلًّا بالكامل، فزع الجميع فَتقدمت ماما سنجوبة تسأل:
_لماذا تبدو هكذا يا سنجوب! أين مِظلتك؟

أبتعد قليلًا لتظهر خلفه باندا طفلة تُمسك بِمظلة بابا سنجوب السوداء، حالتها ليست أفضل مِن حالة بابا سنجوب؛ فَقد كانت هي أيضًا مُبتلة، ترتعش مِن البرد وَالخُوف، صدر منها أنينٌ خافت ممزوجًا بِشهقاتٍ صغيرة، تجمّع الجميع حولها، غير مُدركين ماذا بها أو مَن هِيَ، لكن كان الأهم بالنسبة لهم أن تهدأ.

نظرت ماما سنجوبة لِبابا سنجوب وعيناها تشير علىٰ الطفلة، فَأخذها جانبًا يشرح:
_لقد وجدتها في طريق العودة مِن العمل، لم أفهم شيئًا منها غير أنها تائهة ولا تعلم عنوان منزلها، سأذهب إلىٰ قريةٍ قريبة أعلم أن بها العديد مِن منازل الباندا قد تكون من هناك.

أومأت ماما سنجوبة وَهِيَ تُعطيه العديد مِن المناديل يمسح بها وجهه، ثم غادر بابا سنجوب يبحث عن منزل الصغيرة.
التفت ماما سنجوبة إلىٰ الباندا الصغيرة التي تجلس علىٰ الأرض تبكي، يُحيط بها أسري وَحوري، وَيقف دُومي علىٰ مقربةٍ منهما.

تقدمت ماما سِنجوبة قليلًا، قبل أن تنحني لِتّصبح قريبة مِن الصغيرة، قائلة:
_ما اسمك يا صغيرة؟
نظرت لها الطفلة بِعينين دامعة، فَاجابت وَهِيَ ترتجف بِصوتٍ خافت مُتقطع:
_د...دانا.

لاحظت ماما سنجوبة ارتجافتها فَذهبت تُحضر لها منشفة، تقول لِحُوري:
_حوري، احضري فستانًا وضعيه علىٰ سريرك.
أومأت حوري وَغادرت ركضًا إلىٰ غُرفتِها، ظلَّ دومي وَآسري بِجانب الطفلة، نطق آسري:
_ماذا حدث؟

رأت دانا أن أسري قريبٌ لها في السن فَاطمئنت قليلًا، اردفت بِصوتٍ خافت:
_أنا تائهة، كان مِن المُفترض أن أركب حافلة مِن المدرسة إلىٰ قريتي، لكن....

انهارت باكيةً، فَأحضر دومي منديلًا لها، ثم اختفىٰ، حاول آسري جعلها تهدأ، لكن كانت تنهار أكثر كُلِ مرة، عادَ دومي ينحنى مُمسكًا دفتره وَقلمه، مَدَّ يده لِدانا، قائلًا بِابتسامة هادئة:
_إن لم تستطيعي الحديث، اكتبي!

كانت ماما سنجوبة عادت بِالمنشفة فَسحبت الطفلة بِهدوء ثم ذهبتا إلىٰ غُرفة حورى.
بعد غياب لم يزد عن عشرة دقائق خرجت ماما سنجوبة وَحُوري رفقة دانا وَقد ارتدت إحدىٰ فساتين حُوري، جلست دانا صامتة علىٰ الأريكة، وَمازالت عيناها تحمل بعض القلق مِن الجميع.

ذهبت ماما سنجوبة إلىٰ المطبخ لِتعد كوبًا مِن الشوكولاتة الساخنة، وَوضع دومي الدفتر وَالقلم أمام دانا مُتظاهرًا بعدها أنه لا ينظر لها، راقبه آسري وَحُوري فَفعلا مثله، مرت بضع دقائق قبل أن تسحب دانا الدفتر وَالقلم،

عندما انتهت مِن الكتابة دخلت ماما سنجوبة واضعةً الكوب أمام دانا، كادت تأخذ الكوب، لكن صرخت حُوري قائلة:
_انتظري!

فزع الجميع من ركض حوري إلىٰ المطبخ، ثم عادت تمسك أحد كعكاتها التي أحضرتها مِن متجر الحلوىٰ، اقتربت من دانا وهي تقول بابتسامة عريضة:
_تفضلي هذا لكِ، طعمه لذيذ مع الشوكولاتة الساخنة.

ابتسمت دانا وَهِيَ تأخذ الكعكة ثم اخرجت مِن حقيبتها كيس بسكويت كان معها، اعطته لِحُوري بِبسمة لطيفة:
_اقبلي مني هذا البسكويت، قد يكون طعمه غريبٌ لكن صدقيني لذيذ، إنه بِطعم البامبو.
تعجبت حوري فَسألتها:
_ماذا يكون البامبو؟

أجابت دانا بحماس الأطفال عندما يعلمون أنهم أكثر خبرةً مِن الذي أمامهم:
_إنه نبات، طعمه حلو لا تقلقي، وَكذلك هُوَ طعام الباندا المفضل، قرأت أن لديكم شيءٌ مثله أنتم السناجب، أليس كذلك؟

قال أسري مُوضحًا كلامها:
_هل تقصدين البندق؟
أجل يجب عليكِ تذوق البُندق المُغطَّىٰ بِالعسل، إن طعمه حُلو جدًا.

أومأت دانا مُبتسمة وَهِيَ تتخيل تجربة هذهِ الحلوىٰ الغريبة التي يتحدث عنها، ثم بدأت في أكل الكعكة وَشُرب بعض الشوكولاتة،

كان كل هذا يقرأ دومي ما كتبته، وَعندما رأىٰ أنها تحسنت، تساءل:
_هل اصبحتِ بِخَير الآن؟
حركت دانا رأسها بِحماس، فَابتسم دومي قائلًا:
_اذًا تستطيعين الحديث! أم تُفضلين أن أقرأ الذي كتبتيه؟
شردت دانا قليلًا تفكر ماذا تريد، حتىٰ رفعت رَأسها تنظر له، وتقول بِصوتِها الطفوليّ:
_سأتحدث...

أخذت نفسًا ترتب أحداث اليوم كلها في رأسِها قبل أن تبدأ:
_في الصباح ذهبتُ إلىٰ المدرسة بِالحافلة لأنها هُنا بِقرية السناجب، وَكان يتوجب عليّ أن أعود ايضًا بِالحافلة، لكن لقد تأخرت قليلًا بِسبب....
توقفت تتذكر ما حدث لها فتجمّعت الدموع في عينيها، لاحظ آسري هذا وَقد شعر أنه يعلم ماذا حدث، فَقالَ لها بِتساؤل:
_ماذا حدث أخبريني.....

تنهدت دانا وَهِيَ تُكمل:
_قالت عليّ سنجابة شريرة، إن مظهري غريب وَأنني سيئة ويجب أن أعود من المكان الذى أتيت منه، لا أعلم لماذا قالت هذا! اعلمُ أنني مختلفة عنكم لكن هذا شيء لا يعيبني!
انهارت دانا، لكن نظرت إليهم بِطفولة تتساءل:
_أليس كذلك؟
هل...هل الاختلاف أمرٌ سيء؟

كاد يعترض الجميع لكن سبقهم آسري الذي يفهم موقفها جيدًا فَقد عاشه هُوَ الآخر:

_لا تقولي هذا أبدًا، كلٌ مِنّا مُميز، لأنه يكون هُوَ، الذي يرىٰ نفسه أفضل مِن الجميع هُوَ السيء.

أكمل وَهُوَ يقصُّ عليها تجربته:

_هل تعلمين! لقد تُهت أنا أيضًا، وَأتدري ما المُضحك! أنني تُهت بِالقرب مِن منزلي!

لِذلك لا تهتمي لِكلامِها أبدًا! فَهِيَ تغار لأنكِ مُميزة وَمُختلفة عن الفصل كله.

ابتسمت دانا رغم أن الدموع مازلت تهبط مِن عينيها، وَفي الخلفية، فرحت ماما سنجوبة بِنضج ولدها الصغير مُبتسمة ابتسامة واسعة.

هدأت الأوضاع وَانتشر الدفء وَالحنان وَبضع الضحكات، رسمت دانا مع حُوري،

وَسمعت تفاصيل مُغامرة آسري،

وَدوَّنت وصفة الشوكولاتة الساخنة مِن ماما سنجوبة،

وكما علَّمها دومي كيفية كتابة الخاطِرة -خاطِرة لطيفة وَليست كئيبة بِالطبع"

وَبعد ساعة تقريبًا، دقَّ الباب فَذهب دُومي مرةً أُخرىٰ يفتحه، ظهر بابا سنجوب علىٰ وجهه ابتسامة انتصار، يقف خلفه دب باندا كبير، وَعندما رأته دانا، ركضت فورًا تُعانقه باكيةً:

_أبي!

ضمَّها والدها بين ذراعيه، وَالدموع سالت علىٰ وجنتيه هُوَ الآخر..

ودعت دانا الأُسرة مُغادرةً وَهِيَ تمسك بِيد والدها،

وَهكذا انتهىٰ هذا اليَوم العجيب بِليلةٍ أُخرىٰ وَصديقة جديدة لِحُوري وَآسري والعائلة.

بعد شهور من الجهد والارهاق والترتيب:
تمت بحمدلله

هل تعلم يا صديقي
إن وصلت إلى هنا، أنني أحبك!

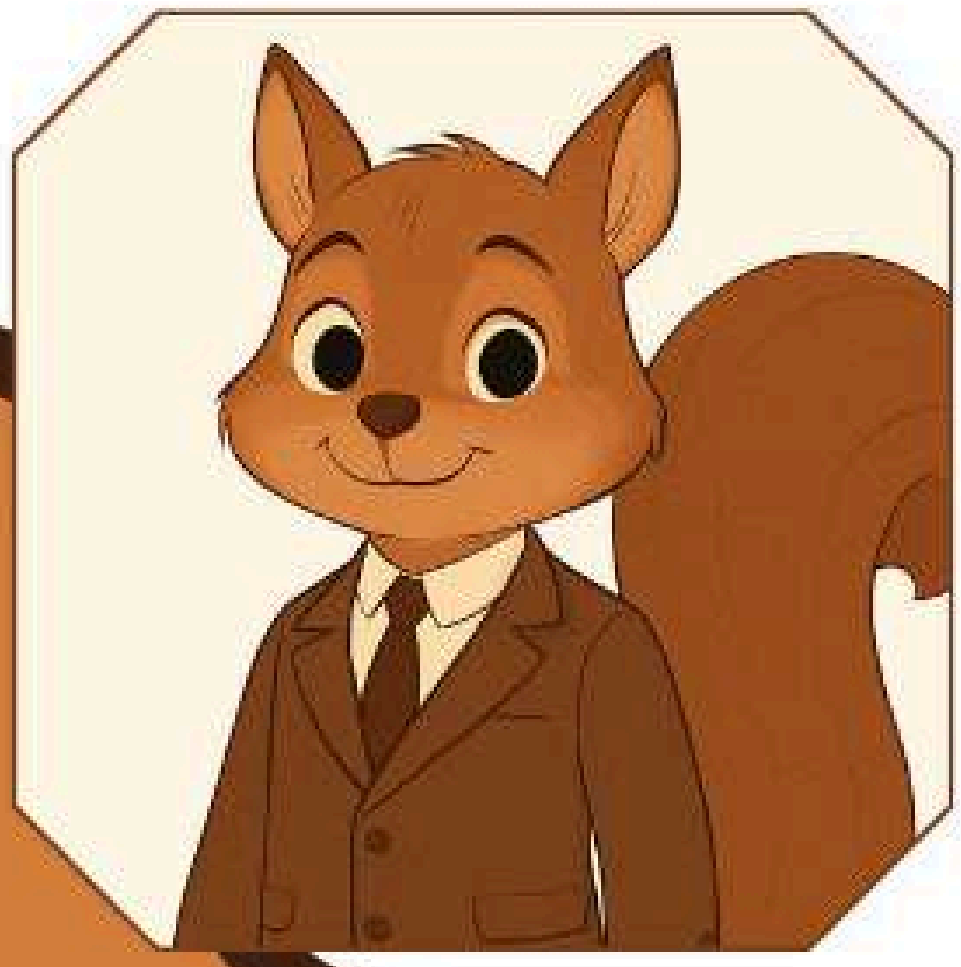
ومع آخر فقرة هل تعلم وآخر لقاء بيننا، تفضل فقرتين.

_هل تعلم يا صديقي
أن السناجب لا تمتلك إبهامًا حقيقيًا، ومع ذلك تمسك المكسرات بأصابعها بمهارة وكأنها تملك يد إنسان صغير؟

_هل تعلم يا صديقي
أن للسناجب حاسة شم قوية لدرجة أنها تستطيع اكتشاف المكسرات المدفونة تحت أكثر من ٣٠ سم من الثلج؟

تحياتي بابا سنجوب
وداعًا.





الاسم: سنجوب

العُمر: 42

النوع: سنجاب ذكر

الإقامة: غابة السناجب

متزوج, أب, لديه ثلاث أطفال.
يعمل في تخزين البندق.



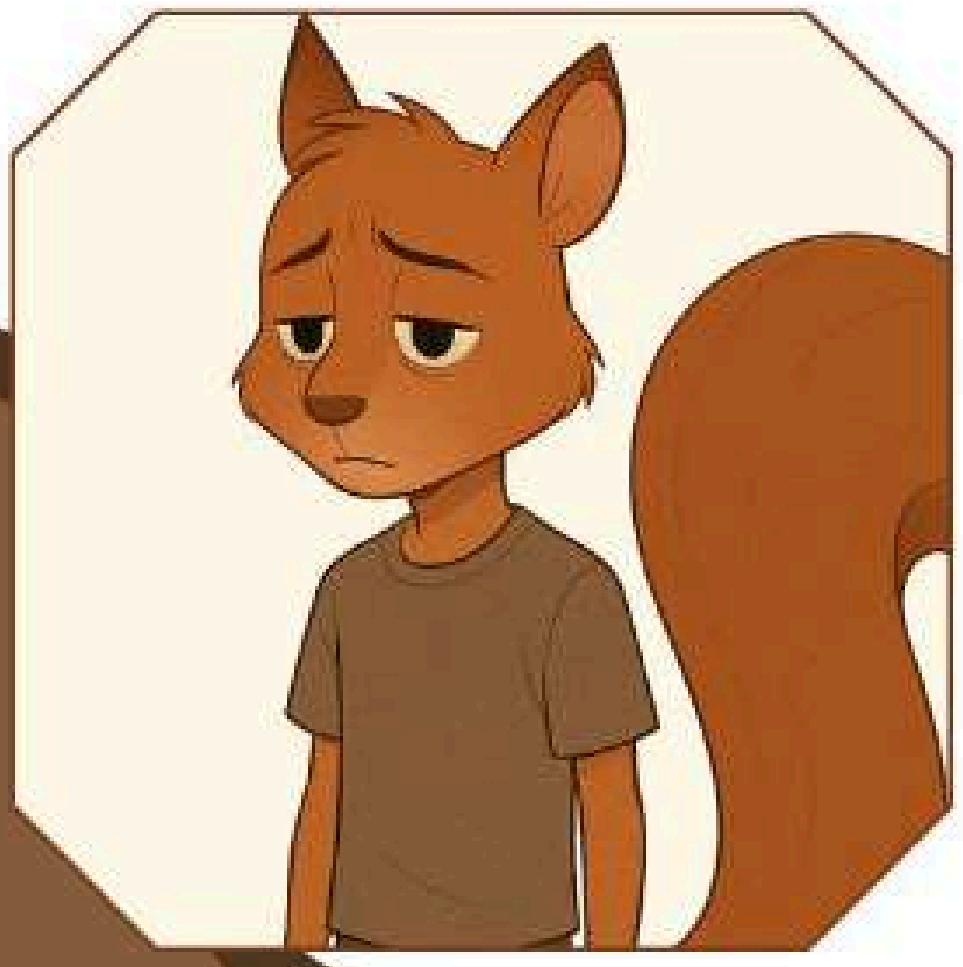
الاسم: سنجوبة

العُمر: 39

النوع: سنجابة أنثى

الإقامة: غابة السناجب

متزوجة, أم, لديها ثلاث أطفال.
ربة منزل.



الاسم: دومي

العُمر: 19

النوع: سنجاب ذكر

الإقامة: غابة السناجب

أعزب.

يدرس في جامعة sngp.



الاسم: أسري

العُمر: 10

النوع: سنجاب ذكر

الإقامة: غابة السناجب

طفل.

يدرس في المدرسة الإبتدائية للسناجب.



الاسم: حوري

العُمر: 10

النوع: سنجابة أنثى

الإقامة: غابة السناجب

طفلة.

تدرس في المدرسة الإبتدائية للسناجب.



الاسم: شيري

العُمر: 21

النوع: سنجابة أنثى

الإقامة: قريب من قرية السناجب

عزباء.

تعمل في متجر للحلوى.



الاسم: بابلز

العُمر: 22

النوع: غزالة أنثى

الإقامة: الغابة المجهولة

شابة.

مجهول.



الاسم: هنون

العُمر: 24

النوع: قطة أنثى

الإقامة: الغابة المجهولة

شابة.

مجهول.



الاسم: لومي

العُمر: 39

النوع: بومة أنثى

الإقامة: أشجار البوم الغربية

متزوجة، لديها طفلان.
صديقة ماما سنجوبة.



الاسم: دانا

العُمر: 10

النوع: دب باندا أنثى

الإقامة: قرية قريبة من قرية السناجب

طفلة.

تدرس في مدرسة الباندا الموجودة في قرية السناجب.



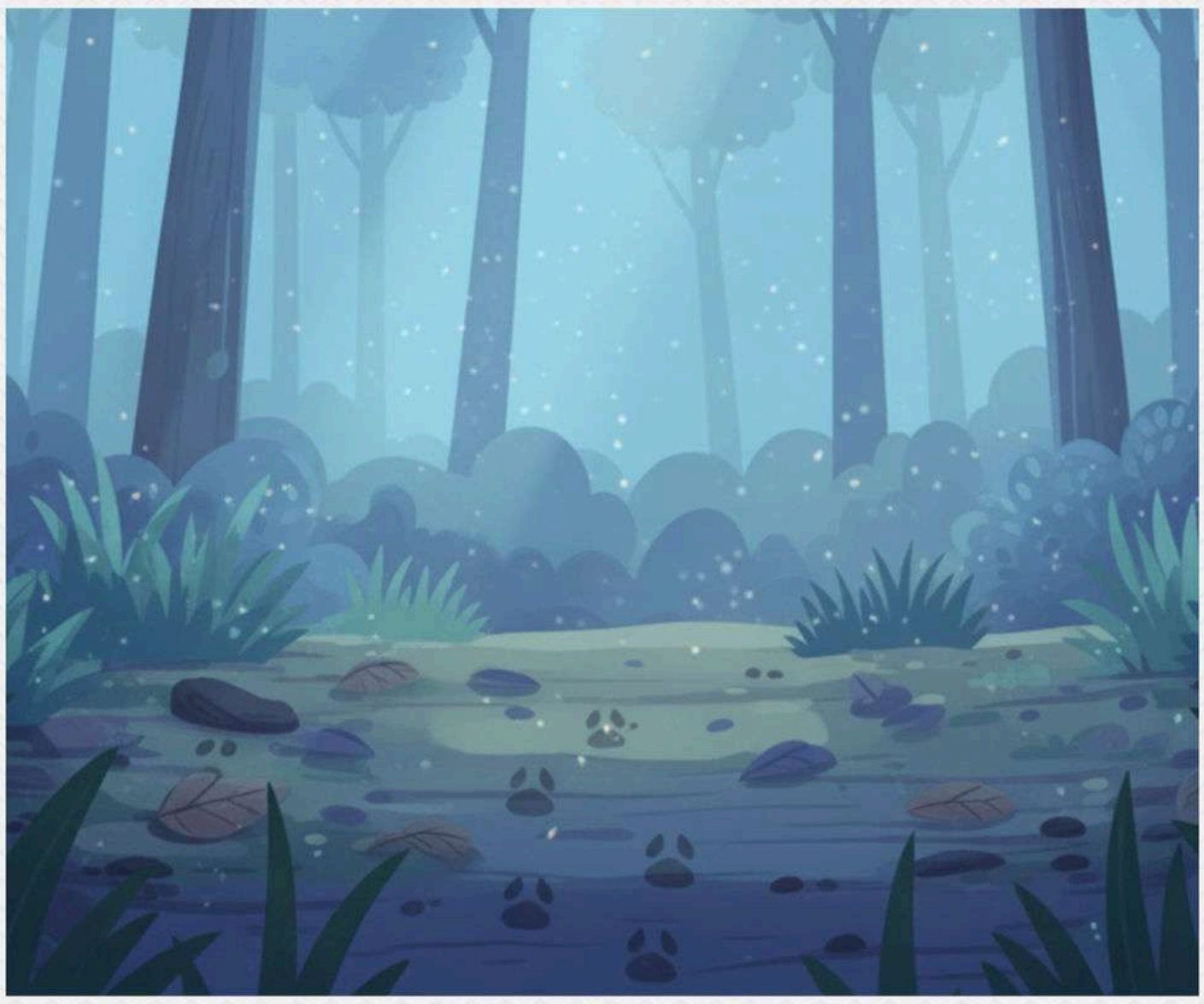
“كرسي بابا سنجوب المفضل”



“براد القهوة الخاص بماما سنجوبة في الحكاية السابعة”



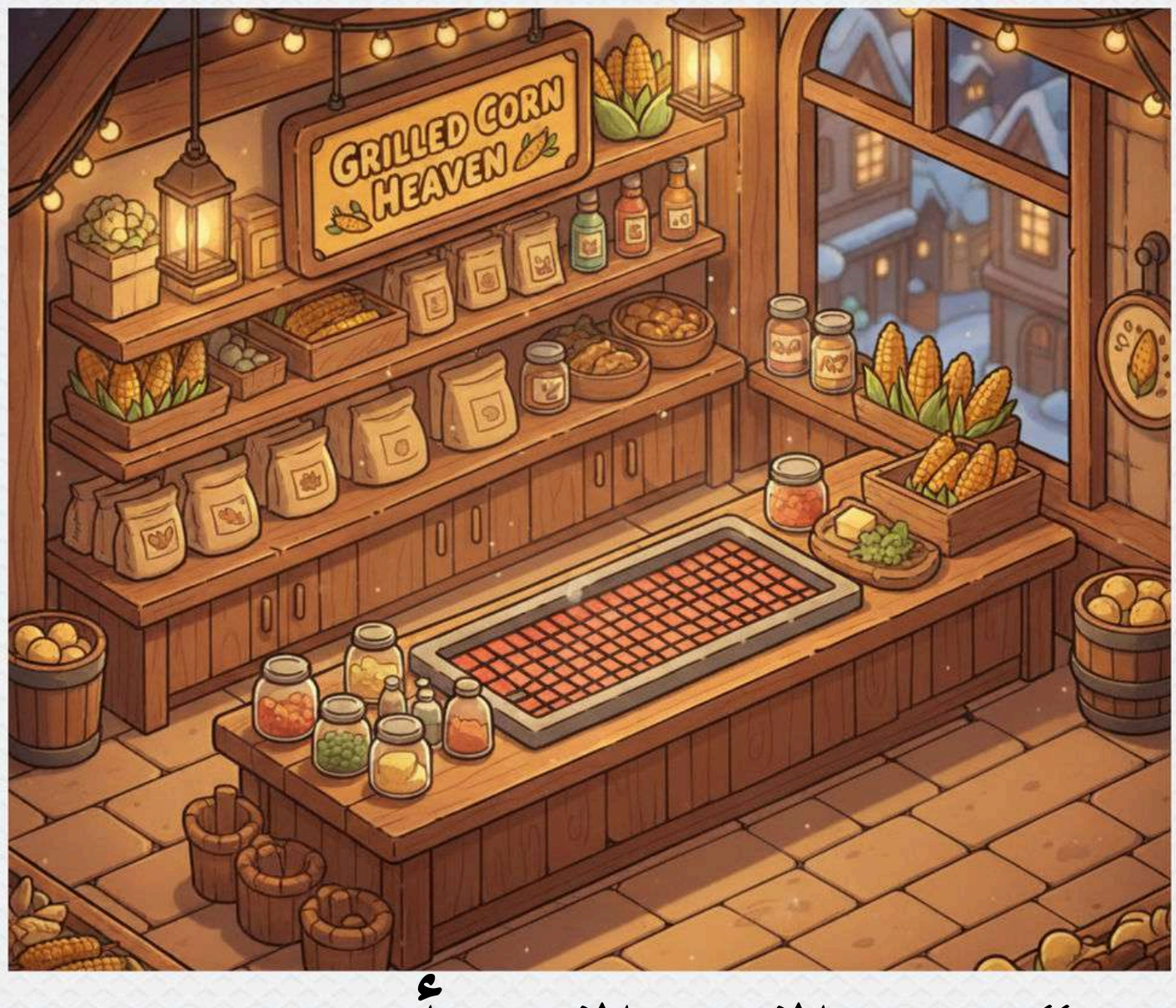
“الطوق الزهري الخاص بالقطة هنون”



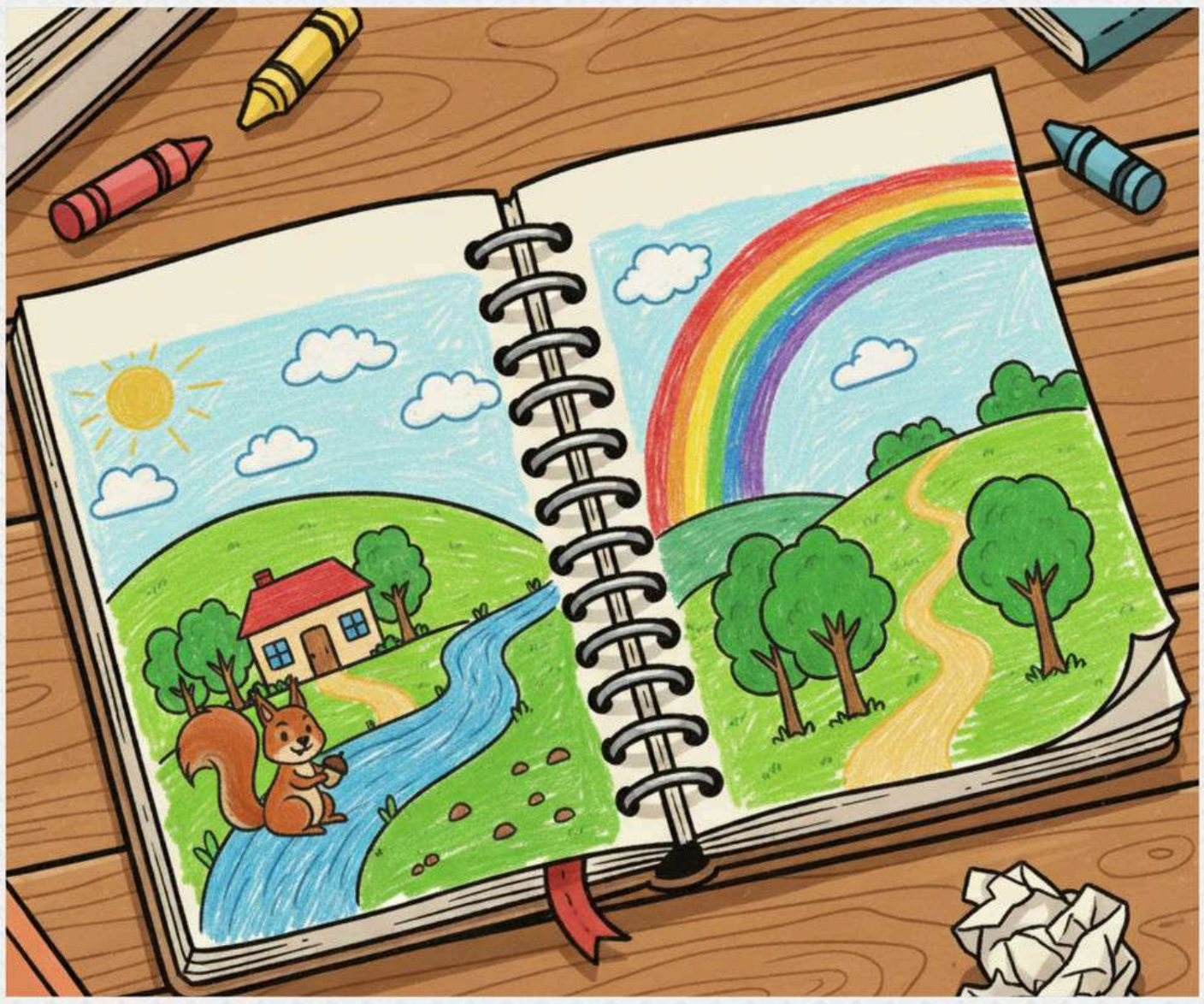
“أثار أقدام الغزالة بابلز عندما ركضت”



“المخزن الذي أنحرق, يتم تصليحه ”



“محل الذرة الذي أحضر منه
بابا سنجوب في الحكاية السادسة”



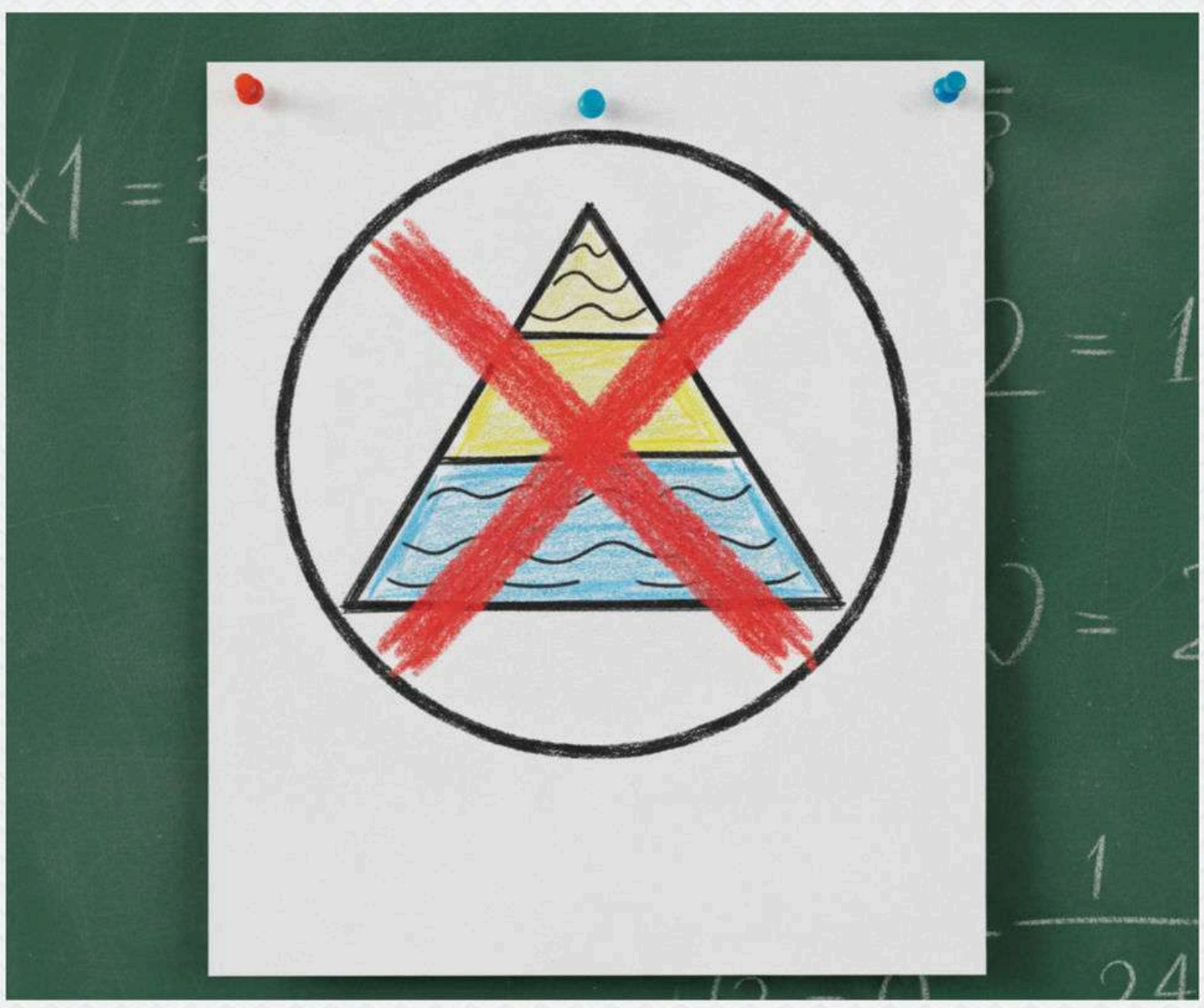
“رسمة حوري بعدما عاد شَغَفها”



“مقال دومي ينتظر أن يقرأه أحد ”



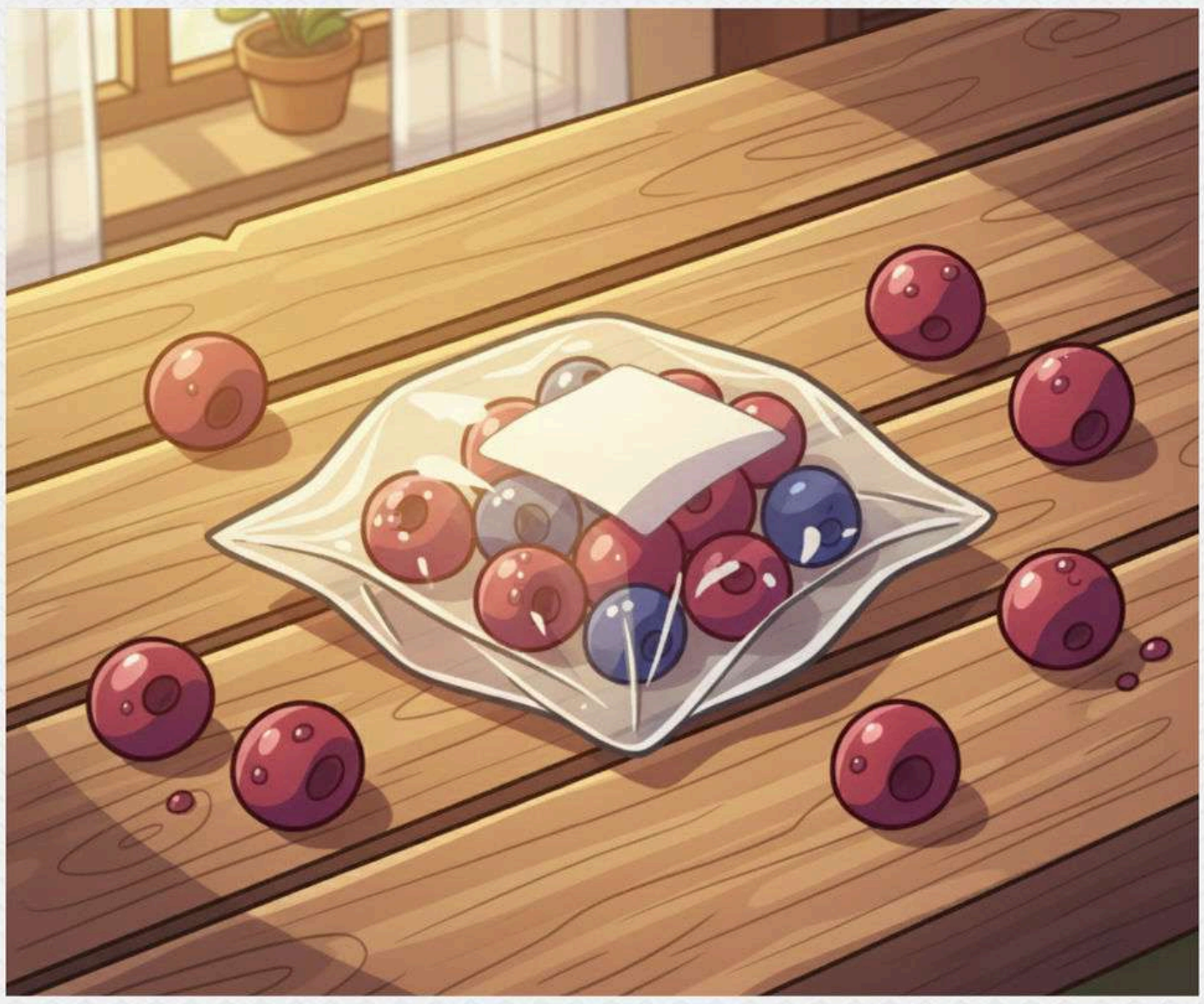
“مدرسة أسري وحوري”



“ورقة وضعها اسري في
مدرسته ضد التنمر”



“متجر الحلوى”



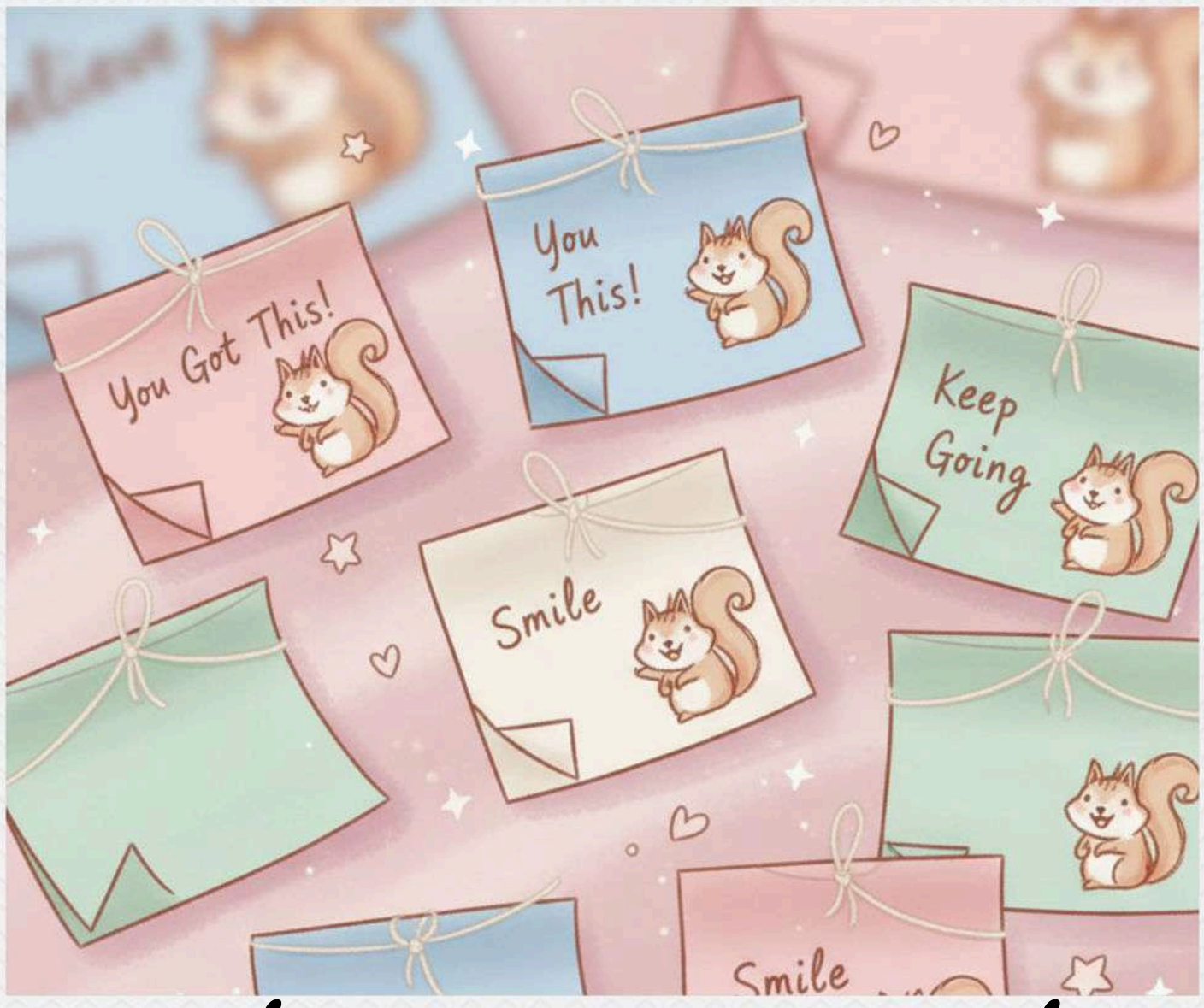
“حبّات التوت التي أحضرها أسري”



“نظارة البومة لومي”



“دفتر دومي, المليئ بالخواطر”



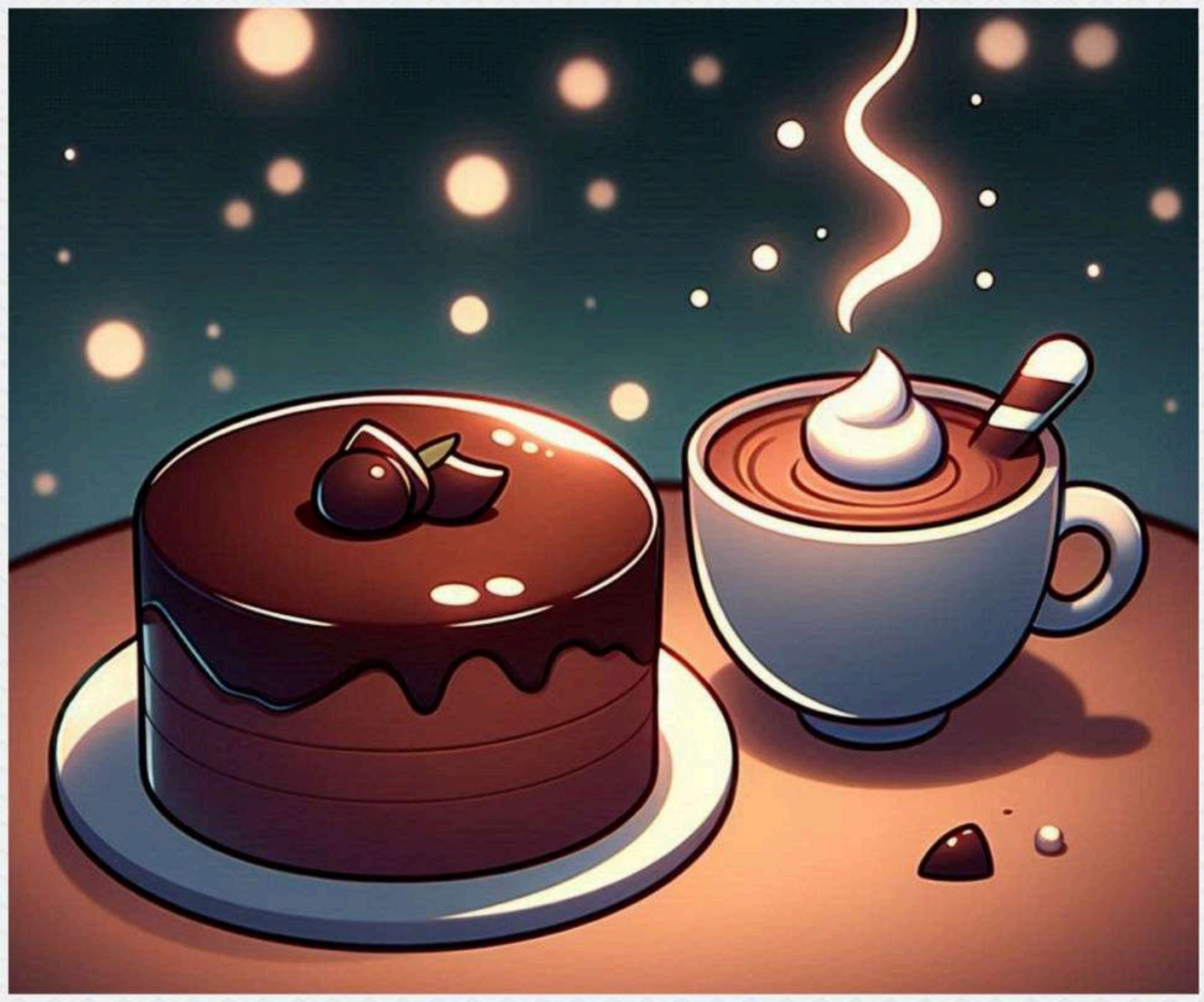
“الأوراق التشجيعية التي أعطاها بابا سنجوب ألى ماما سنجوبة”



“كوب القهوة وكوب الشوكولاه من الحكاية السابعة”



“مظلة بابا سنجوب السوداء في الحكاية الثانية عشر”



"كوب الشوكولاته الساخنة والكعكة في الحكاية الثانية عشر"


TREE HOUSE
WORKPLACE
SCHOOL
CANDY STORE
UNSEEN FOREST
RIVER